

ماهر أحمد الصوفي

الميزان - المصحف - الصراط

- أنواع الشفافات

الميزان الصحف - الصراط أنواع الشفافات

ماهر أحمد الصوفي

الباحث في وزارة العدل الشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قلم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد مخان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم الدكتور عكرمة سليم صبرى

الدكتور محمود عاشور الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العظيمة

كتاب - بيروت



مِيزَانٌ

صُرَاطٌ



سلسلة
موسوعة الآخرة

الميزان
الصحف - الصراط
أنواع الشفاعات

ماهير أَحمد الصنوفي

الباحث في وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدّم للموسوعة

الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم الدكتور عصمة سليم صبرى
الدكتور محمود عاشور الدكتور فاروق حماده

المكتبة الخضراء

ستة بحوث



شَرْكَةُ اِبْنَاءِ شَرِيفِ الْاَصْمَانِ
لِلْقِرْبَاءِ وَالنَّسْخَةِ وَالتَّوْزِيعِ
صَيْدا - بَيْرُوت - لَبَّان



• المَكْتَبَةُ الْعَصْرِيَّةُ

الخندق الفميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٢٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥
٠٩٦١ ١ ٦٥٩٨٧٥ - ٠٩٦١ ١ ٦٢٢٦٧٣
بيروت - لبنان

• الْمَكْتَبَةُ الْعَصْرِيَّةُ

الخندق الفميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٢٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥
٠٩٦١ ١ ٦٥٩٨٧٥ - ٠٩٦١ ١ ٦٢٢٦٧٣
بيروت - لبنان

• المَكْتَبَةُ الْعَصْرِيَّةُ

بوليفار نزهة البزرى - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٤٢ - ٧٢٩٢٦١ - ٧٢٩٢٥٩
٠٩٦١ ٧ ٧٢٩٢٦١ - ٠٩٦١ ٧ ٧٢٩٢٥٩
صَيْدا - لَبَّان

١٤٣١ - م ٢٠١٠

Copyright© all rights reserved

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختران
مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو
بأي طريقة سواء كانت الكترونية أو بالتصوير
أو التسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كاتبة من
المؤلف والناشر مقدما.

E. Mail

alassrya@terra.net.lb

alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الانترنـت

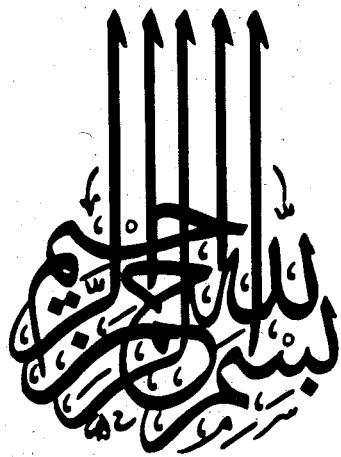
www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-341-1



مَكْتَبَةُ إِسَارَةِ الْعَرَبِ

مع تحيات أعلام الدين شوقي



قدّم لموسوعة الآخرة كل من السادة الأفاضل

- ١- الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
- ٢- الدكتور محمد جمعة سالم : وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف - دولة الإمارات العربية المتحدة.
- ٣- الدكتور عكرمة سليم صبري : خطيب المسجد الأقصى ومفتى القدس والديار المقدسة.
- ٤- الدكتور محمود عاشور : وكيل الأزهر الشريف سابقاً.
- ٥- الدكتور فاروق حمادة : أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس - الرباط.

لقد تم تثبيت هذا التقديم
في الجزء الأول
من موسوعة الآخرة

أسماء وعناوين أجزاء سلسلة موسوعة الآخرة

- ١ - الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى
- ٢ - الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى
- ٣ - الجزء الثالث : الموت وعالمن البرزخ
- ٤ - الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة
- ٥ - الجزء الخامس : البعث والنشور
- ٦ - الجزء السادس : بداية يوم القيمة - أرض المحشر
- الحوض - الشفاعة العظمى
- ٧ - الجزء السابع : الحساب والعرض على الله سبحانه
- ٨ - الجزء الثامن : الميزان - الصحف - الصراط -
أنواع الشفاعات
- ٩ - الجزء التاسع : النار أهواها وعذابها
- ١٠ - الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها ، وقصورها وحورها

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

قال تعالى :

﴿ وَنَضَعُ الْوَزْنَ الْقَسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا نُظْلِمُ نَفْسًا شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالًا حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ أَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِينًا ﴾ .

[سورة الأنبياء، الآية : ٤٧]

ويقول تعالى :

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحُقُّ فَمَنْ ثَلَّتْ مَوَازِنُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِنُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ إِمَّا كَانُوا يَعْيَثُونَ يَظْلِمُونَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآيات : ٨ ، ٩]

ويقول تعالى :

﴿ وَكُلَّ إِنْسَنٍ أَرَمْتُهُ طَبِيرًا فِي عَنْقِهِ وَخُرُوجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَتَبَنَا يَقْنَهُ مَشْوِرًا * أَفَرَأَيْتَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِينًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآيات : ١٣ ، ١٤]

ويقول تعالى :

﴿ قُلْ لِلّٰهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

[سورة الزمر، الآية : ٤٤]



مدونة لِسَانِ الْعَرَبِ

مع تحيات أ. علاء الدين شوقي

Hadith Sharif:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
 «كلمتان حبيتان إلى الرحمن، خفيتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

[رواه البخاري]

وقال رسول الله ﷺ:

«اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيمة شفيعاً لأصحابه. اقرؤوا الزهرايين: البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيمة كأنهما غمامتان، أو غيايتان أو فرقان من طير صواف تحاججان عن أصحابهما».

[رواه مسلم]

وقال رسول الله ﷺ:

«يعرض الناس يوم القيمة ثلاثة عَرَضَات، فأما عرضستان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعندها تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيديه وآخذ بشماله».

[رواه أحمد وابن ماجه والترمذى]

الإهداء

وهبت عملي

إلى الله تعالى . . ربنا ورب الآخرة والأولى الذي لا تضيع
عنه الصالحات القائل في محكم كتابه :
﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِلإِنْسَنِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سُوفَ يُرَى * ثُمَّ يُبَرَّزُهُ
الْجَرَاءَ الْأَوَّلَ﴾ .

فتقبل مني إنك أنت السميع العليم .

إلى رسول الله ﷺ :

الذي قدم في سنته الشريفة علماً غزيراً عن كل حقائق
الآخرة بدءاً من أشراط الساعة والموت وعالم البرزخ وقيام
الساعة إلى عالم الجنة والنار فدللنا وأرشدنا ونبهنا وعلمنا . .
اللهم صل وسلم عليه حتى نلقاه بإذنك على الحوض يوم
القيمة .

تقديم

بِقَلْمِ الأَسْتَاذِ الدَّكْتُورِ
مُحَمَّد سَعِيدِ رَمْضَانِ الْبُوْطَيْ

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فقد ابتدى كثير من المسلمين في هذا العصر بالاستيحاش من الحديث عن سلسلة الأحداث التي تواجه العبد ، عند انتهاء أيامه وساعاته في هذه الحياة الدنيا ، والتي لا بد أن يعبر منها بوابة الموت . وإنك لتسمع أحدهم يقول ، عندما يذكر بالموت وما وراءه من أحداث اليوم الآخر : إننا نتمتع الآن بنعم الدنيا ، فلا تنقص علينا متعتنا بالحديث عما وراءها من أخبار الموت وما بعده . . .

وإنه لغباء عجيب أن يغمض الإنسان عينيه عن الطريق الذي لا مناص له من السير فيه ، غير مبال بالعقبات التي ينبغي أن يحيد عنها ، وبالحفر التي يجب أن يتجنّبها ، والالتواءات التي لا بد له من اتباعها والدوران معها ، وهو يعلم أنه لا بديل له عن هذا الطريق وأنه لا يملك إلا التوجه إليه والسير فيه . . .

وقد علمنا جمِيعاً أن دقات الزمن لا تتوقف ، وأنها إنما تحصي ساعات العمر ودقائقه بما من يوم يمر إلا ويُدْنِي صاحبه بمقدار ذلك إلى أجله ، ويبعده بالمقدار نفسه عن دنياه :

يسْرُ المرءَ مَا ذَهَبَ اللَّيَالِي وَكَانَ ذَهَابُهُنَّ لَهُ ذَهَابًا

ثم إن صلاح الحياة الدنيا رهن بما ينبغي أن يعلمه الإنسان من أحداث الحياة الآخرة.. فمن كان على بيّنة من يوم الجزاء، استقام في سلوكه وتعامله مع الآخرين أيام دنياه. ومن كان غافلاً عنه غير مبالٍ به، لم يجد ما يدعوه إلى أي استقامة مع نفسه ولا مع الآخرين.

ومما يزيد هذا الابتلاء خطورة أن كثيراً من المشغلين بما يسمى اليوم بالفكرة الإسلامية ينأون هم الآخرون عن الحديث عن الموت وما بعد الموت، ويحصرون بحوثهم الفكرية عن الإسلام داخل ساحة لا تتجاوز المعايش الدنيوية وأحداثها ومشكلاتها، وكأنهم يصانعون الناس ويجارونهم في إعراضهم عما يستوحشون أو يتشاءمون من الخوض فيه.

* * *

ولما أهدى إلى العالم الباحث في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ ماهر الصوفي، كتابه الممتع النادر «موسوعة الآخرة» لم أشك في أن عاقبة هذا الجهد الكبير لن تكون سوى الإعراض عنه والتخوف مما يحمله إلى الناس من مشاعر التساؤم والوحشة، ومن تنفيص ساعات لهوهم عليهم بمخاوف المستقبل.

ولكن كم كانت المفاجأة سارة والغبطة كبيرة، عندما أكد لي المؤلف أن الطبعة الأولى منه نفت خلال أشهر لم تبلغ تمام العام. إذن، لئن كان في الناس من لا يريد أن يسمع شيئاً عن أحداث ما بعد هذه الحياة الدنيا، فإنه لا يزال فيهم الكثير من يصغي السمع إليها، ويربط حياته الحاضرة بالمستقبل الذي هو آيل إليه.

ويبدو أن هذا الفريق الثاني من الناس، يعاني من ظمأً إلى من يصقره مفصلاً عن ذلك المستقبل ويحدثه بتوسيع عن أحدهاته ومراحله. ولا غرابة في أن يتحكم بهم هذا الظماء عندما يبحثون، فلا يجدون من أحاديث «الفكر الإسلامي» إلا ما يتناول الدنيا وشؤون وتقويم الأحداث التي تتکاثر وتتطور فيها.. ومن ثم فلا غرابة في أن يقعوا من هذا العنوان المتألق: «موسوعة الآخرة» على بغيتهم التي ينشدونها، وعلى معرفة المصير الذي سيتأتى لهم ربط حياتهم الدنيوية به.

ولقد استعرضت السلسلة المتدرجة من أحداث يوم القيمة ومقدماته، موزعة على أجزاء هذا الكتاب، وببدأت أقرأ بإمعان أول أجزاءه وهو يتناول الحديث عن المقدمات التي ستتجلى بين يدي قيام الساعة، مؤكدة لها ومنذرة بها.. فأعجبني في المضمون ما ألزم به المؤلف نفسه، من توثيق الأخبار وتخريج الأحاديث والالتزام بترتيب الأحداث.. وأعجبني في الشكل العناية المتميزة بالتنفيذ وتوظيف ذلك لتقريب المعنى وتيسير الدلالة كما أعجبني فيه أناقة الإخراج وجمال المظهر.

وأنه ل توفيق إلهي أن يجند ذلك كله لتعبيد السبيل ما بين فكر القارئ الذي ربما استهواه زهرة الدنيا ومحاذاتها، وبين المال العظيم الذي هو آيل إليه. وإنها لحكمة عالية أن يفرض على جنبات هذا السبيل ما يؤنس القلب ويريح العين ويعيشه في النفس الرغبة في السير مع الأحداث المتابعة التي يمضي بك إلى نهايتها معراج هذا الكتاب.

والમأمول أن يتم الله فضله، فيجعل من الإقبال على هذه الموسوعة، ومن السير العقلي والقلبي مع أحداث يوم القيمة فيها، ما

يضبط سلوك القارئ في حياته الدنيا بميزان العدل ونبراس العلم، وسلطان الحق، ويوقظ من مراقبته لله ما يجعله قيماً على سلوكه، وتصرفاته مع الآخرين.

أما الأخ الباحث العالم الذي وفقه الله لإخراج هذه الموسوعة التي تضع الإنسان أمام قصة الرحلة التي قضى الله بها عليه، فأسائل الله أن يجزل له الأجر عليها، وأن يجعل من هداية الناس بها مصدر مثوبة له؛ وإنها لصدقة جارية لن ينقطع عن رفدها إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

أبوظبي في ١٧ رمضان المبارك عام ١٤٢٥هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين
وأفضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين . .

.. في هذا الجزء من الموسوعة تتبّع النتائج وتتضّح معالّم العمل، وتطهّر التقوى في كامل صورها، وكذلك الفجور في كامل صوره .. ففي الجزء السابع كان العرض على الله سبحانه ثم حسابه للخلاق جميعاً .. ولكن النتائج لم تظهر بعد، ونتيجة الامتحان ينتظّرها المرء عند الميزان، وهو من المواطن الرهيبة حتى يعلم الإنسان هل يشّغل ميزانه أم يخفّ، وكذلك عند استلامه كتابه حتى يعلم هل يستلم بيمينه أم بشماله أم من وراء ظهره؟؟

.. إنّها مواقف النتائج، التي يأمل بها الجميع رحمة الله سبحانه وشفاعة رسول الله ﷺ.

المؤمنون في كل مواقف يوم القيمة تشملهم رحمة الله سبحانه، والكافرون في كل مواقف يوم القيمة يشملهم غضب الله سبحانه، فلا شفاعة لهم في الحساب ولا عند الميزان ولا عند استلام الصحف، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، فقد حرم الله سبحانه أي شفاعة فيهم، ذلك أن الله سبحانه حرم الجنة على الكافرين والمشركين .

في هذا الجزء من الموسوعة تظهر النتائج التي ينتظّرها أهل المحشر على آخر من الجمر، والذي ينتظّر نتائج امتحانه فإنه يكون

مشدوداً وبحالة متوترة وبنفس خائفة، أمله النجاح وعدّته الرجاء وقلبه معلق بالنجاة، ولكن لا ينفع نفساً شيئاً لم تأت اللّه بقلب سليم .. وسيخيب كل ظالم ومتجرر اعتدى على حرمات اللّه وظلم عباد اللّه في الدنيا .. كلٌ سيأتي ربه يوم القيمة فرداً، لا معين ولا شفيع ولا سند، الجميع يعرضون على اللّه سبحانه لا تخفي منهم خافية .. لقد ولّى زمن الدنيا الذي فيه التخفي والرياء والمداهنة والنفاق وفيه الصدق والحق والعمل الصالح .. فلا بد حتى يشغل ميزاني وأخذ صحيفتي في يميني أن أكون في يوم القيمة قد جئت بعمل يرضي اللّه سبحانه، مسطور في صحيفتي، فالإيمان باللّه والأعمال الصالحة هي المنجية، وهي التي تشغل ميزاني وتكون سبباً في استلامي لصحيفتي بيّmineي .. هناك عند النتائج سيفرح كلٌ من الفائزين ويقول: هاؤم اقرؤوا كتابيه والذي خسّع وخسر يقول: يا ليتنى لم أؤت كتابيه ولم أدر ما حسابيه، ويتمنى أن يقضى عليه فيموت، ويصرخ فيقول: يا ليتها كانت القاضية، هناك عند الميزان واستلام الصحف سيعلم الكافرون والمرتكبون أي منقلب سينقلبون، وأي سوء عذاب ومهانة بانتظارهم، وسيعلم المؤمنون أي كرامة وعز ورفة تنتظرون، لقد كان الكافرون في الدنيا يضحكون من المؤمنين، واليوم المؤمنون هم الذين يضحكون من الكافرين ..

في هذا الجزء سترى كيف يُلقى ويُرمى الكافرون والمرتكبون وما كانوا يعبدون في الدنيا رمي مذلة وإلقاء مهانة في جهنم .. نعم إنهم يتساقطون أمماً أمماً في نار جهنم، كلما جاءت أمّة لعنت أختها حتى يداركوا فيها جميعاً ..

.. وفي هذا الجزء المواطن الرهيبة المفزعة والمخيفة - مواطن المرور على الصراط الذي هو أدق من الشعر وأحد من السيف .. هذا

الصراط (الجسر) الذي بضربيه اللَّه سُبْحَانَهُ عَلَى ظَهْرَانِي جَهَنَّمْ لِيَعْبُرَ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ فَقَدْ .

الصادقونَ مِنْهُمْ وَالمنافقوْنَ، وَأَهْلُ التَّقْوَىٰ مِنْهُمْ وَأَهْلُ
الْمَعَاصِي . . . فَيَنْجِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُؤْمِنِينَ الصادقينَ، وَأَمَّا الْمَنافقوْنَ
وَالْعَصَابَةَ وَأَهْلَ الْكَبَائِرِ فَإِنَّهُمْ يَتَساقطُونَ فِي جَهَنَّمْ، بَعْدَ أَنْ تَتَخَطَّفَهُمْ
الشُّوكُ وَالخَطَاطِيفُ وَالكَلَالِيبُ ذَلِكَ بِمَا نَافَقُوا وَعَصَوْا اللَّهُ سُبْحَانَهُ . . .
إِنَّهُ مَوْقِفٌ عَظِيمٌ، فَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ نَاجٌ لَا يُصِيبُهُ شَيْءٌ يَمْرُّ كَالرِّيحِ،
وَمِنْهُمْ مَنْ تَخَدَّسَهُ تَلْكَ الْكَلَالِيبُ وَلَكِنْ لَا تَوْقَعُهُ، فَيَمْرُّ عَلَى الصَّرَاطِ
وَقَدْ امْتَلَأَ خَوْفًا وَخُدُوشًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَهُوِي بِمَا يَحْمِلُ مِنْ نَفَاقٍ
وَمُعْصِيَةٍ، لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ عَلَى الصَّرَاطِ مِنْ شَدَّةِ الْهُولِ وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا
الرَّسُولُ وَقَوْلُهُمْ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ .

.. وَتَظَهَّرُ فِي نِهايَةِ الْجَزْءِ الشَّفَاعَاتِ وَأَنْواعِهَا، وَأَوْلَاهَا مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أُمَّتِهِ ثُمَّ يَأْذِنُ اللَّهُ بِالشَّفَاعةِ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالصَّدِيقِينَ
وَالشَّهِداءِ وَالْعُلَمَاءِ وَلِعَالَمَةِ الْمُؤْمِنِينَ .

.. وَمَعَ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ وَمَا فِيهَا نَرْحِلُ فِي عَالَمِ الْمِيزَانِ
وَالصَّحْفَ وَالصَّرَاطَ وَالشَّفَاعَاتِ، وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ .

الفصل الأول

- حساب المشركين والكافرين .
- الدلائل على حساب المشركين والكافرين :
- أولاً: إن الله سبحانه يُشهدُ أعضاء المشركين والكافرين على أعمالهم .
- ثانياً: العدل الإلهي المطلق وإقامة الحجة على الكافرين والمنافقين .
- ثالثاً: إن الله سبحانه يحاسبهم لتوبيخهم وتقريعهم .
- رابعاً: حساب المشركين والكافرين على التكاليف الشرعية .
- خامساً: يحاسب الكافرون ويهبّطون في دركات النار بقدر كفرهم وأعمالهم .

حساب المشركين والكافرين

مدخل :

بيّنا في الجزء السابع من الموسوعة حال الكفار والمشركين عند عرضهم على الله سبحانه، وكيف يكون موقف مهيناً وذليلاً؟ وكيف يجثون على ركبهم طوال فترة العرض، خاسعين من الذل يخرج إليهم كل حين عنق من النار، فيخلع قلوبهم من أماكنها وتقطع حناجرهم من الهلع، غير ما أصابها من العطش الذي جفف أفواههم وحلوقهم وأمعاءهم.

... ثم بيّنا أن الله سبحانه بعد موقف العرض هذا يأذن ببدء فصل الحساب، وبيّنا أن أمّة محمد ﷺ أول من يحاسب من الأمم... فإذا ما فرغ الله سبحانه من حساب المؤمنين أتقىائهم وعصاتهم... حاسب المؤمنين من باقي الأمم الذين كانوا على إيمان وعمل صالح مع أنبيائهم.

ثم يكون حساب المشركين والكافرين.

... وفي حساب المشركين والكافرين جدل بين العلماء، فمنهم من أيد حسابهم واستشهدوا على ذلك بكثير من الآيات القرآنية وأحاديث رسول الله ﷺ... ومنهم من أنكر حسابهم وقال: إن المشركين والكافرين لا حساب عليهم وذلك أنه لا عمل صالح لهم يحاسبون عليه، وأن الكفر بالله سبحانه والشرك به يسلبهم الأجر

الأخروي على أي عمل صالح أو خير قدّمه في حياتهم الدنيا لأن الله سبحانه لا يقبل عملاً إلا إذا كان صاحبه قد احتسبه لله سبحانه، أو كان العمل والخير لوجه الله تعالى على العموم مع العلم أنهم يؤجرون على خيراتهم في الدنيا فقط.

... فالخير والشر موجودان في الإنسان، سواء أكان مؤمناً أم كافراً أم مشركاً، لأن التوازن في الفجور والتقوى موجود في الإنسان في أصل الخلق، يقول تعالى: ﴿ وَنَفَرَ مَمْنَعَهَا فَأَهْمَمَهَا فِي رَحْمَةِ رَبِّهَا فَنَقَرَهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴾ .

[سورة الشمس، الآيات: ٧ - ١٠]

... فالخير والشر في الإنسان غير الإيمان والكفر.. فالله سبحانه لم يجعل نفس الكافر في الفجور وحسب، ونفس المؤمن في الخير وحسب، بل كلاهما وجدت في نفسه في أصل الخلق النفس الفاجرة والنفس التقية، فالإنسان يفعل الخير ويفعل الشر حتى وإن كان كافراً، ولكن النفس لا تزكي إلا إذا آمنت بالله سبحانه، فالتزكية من أعلى مراتب الخير، وأعلى مراتب الخير هي الإيمان بالله سبحانه.

... وأما حجة الذين قالوا بأن الكافرين والمشركين لا يحاسبون من الله سبحانه بل النار مأواهم وبئس المصير، فهي أن الله سبحانه يقول في محكم كتابه:

﴿ وَقَدْمَنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ .

[سورة الفرقان، الآية: ٢٣]

ويقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كُسُرٌ بِقِيَمَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءَ حَقَّ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابٌ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

[سورة النور، الآية: ٣٩]

ولكن هذه الآيات الكريمة لا تشير إلى أن الكافرين والمرجعيين لن يحاسبهم الله سبحانه يوم القيمة، بل يأمر بهم إلى النار بعد العرض عليه... ولكن تشير إلى أنهم عند الحساب بين يدي الله سبحانه لا يحتسب لهم أعمالهم التي قدموها وفيها شيء من الخير، طالما أنها لم تكن في سبيل الله سبحانه، أو احتساباً لما عند الله من الأجر، لأنهم كانوا على الكفر.

... فالرأي الصحيح بإذن الله تعالى: إنهم يحاسبون، بل يحاسبون حساباً شديداً وعسيراً ويقررون بکفرهم ومعاصيهم وذنوبهم وفواحشهم وكبائرهم التي ارتكبواها في الدنيا... ذلك أن فعل الخير الذي قدموه في الدنيا لم يكن احتساباً لله أولاً، ولم يردعهم عن معاصيهم ثانياً من شرب للخمر وأكل للربا واقتراف للزنى... لأنهم كانوا في الدنيا يفعلون الخير ولكن ربما من أجل مصالحهم الخاصة أو لمنافعهم أو ليقال كريم أو جواد، أو تجبرهم حكوماتهم على فعل هذا الخير مساهمة منهم في تحسين مجتمعاتهم الدينية... فكل ما قدّموه من خير لم يكن يردعهم عن المعصية.. فكم أنشئت مدارس في دول الكفر للتباكي على نفقة فلان من الناس.. وعند الافتتاح تراق وتشرب الخمور احتفالاً بهذا العمل..

وعرض أعمال الكافرين عليهم ومحاسبتهم هو لزيادة ذلهم وهوانهم، فعلاوة على كفرهم فإن الله سبحانه ليس بغافل عن أعمالهم وذنوبهم التي كانت فواحش عظيمة، حرّمها الله سبحانه علىخلق جميعاً فهم أهل كفر وأهل معاصٍ وأهل كبائر.. فإذا كان المؤمن أو المؤمنة قد ارتكب بعض الكبائر في حياته الدنيا، وكان على الإيمان ولم يكفر بالله سبحانه فإنه سوف يحاسب حساباً عسيراً،

فالكفر والشرك أصحابهما في النار خالدين فيها وأعمالهم من الفواحش والمنكرات تزيد في عذابهم في النار.

... يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، في خصوص حساب المشركين والكافرين:

«هذه المسألة تنازع فيها المتأخرن من أصحاب أحمد وغيرهم، فمن قال: إنهم لا يحاسبون: أبو بكر عبد العزيز، وأبو الحسن التميمي، والقاضي أبو يعلى، وغيرهم.. وممن قال: إنهم يحاسبون: أبو حفص البرمكي من أصحاب أحمد، وأبو سليمان الدمشقي، وأبو طالب^(١).

... والصحيح وهو أكثر أهل الرأي أن الكفار ممحاسبون كما أن أعمالهم توزن وقد دل على ذلك كثير من الآيات الكريمة.

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَئِنَّ شَرَكَاهُ الَّذِينَ كُسْتَرَ تَرْعَمُونَ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٦٢]

ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجْبَثُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٦٥]

وكذلك فإن لهم عند الحساب موقف الاختصار، ورد كل مجموعة أو أحدهم أمر كفره وشركه إلى غيره.

يقول تعالى: ﴿قَالَ قَرِئْنَا مَا أَطْفَلْتُهُ وَلَكِنَّ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِّمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَالٍ لِلْعَيْدِ﴾.

[سورة ق، الآيات ٢٧ - ٢٩]

وكذلك فإن الله سبحانه في كثير من الآيات الكريمة بين أنه سبحانه سيحكم بين الفرقاء من المشركين والكافرين وبين المؤمنين

(١) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام (٤ / ٣٠٧).

والكافرين، والحكم لا يكون إلا بعد الاستماع للخصوص والشهود وهذا دليل على حساب المشركين والكافرين.

يقول تعالى: ﴿ وَقَاتَ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَاتَ الْأَصَرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلُ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١١٣]

ويقول تعالى: ﴿ إِذَا قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى إِلَيَّ مُتَوَقِّيَكَ وَرَأَفُكَ إِلَيَّ وَمُطْهِرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاءُكَ الَّذِينَ أَبْعَدُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَخْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٥٥]

ويقول تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ آتِيَعَ مَلَةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّمَا جَعَلَ السَّبَبَ عَلَى الَّذِينَ أَخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾.

[سورة النحل، الآيات: ١٢٣ ، ١٢٤]

فهذه الآيات تشير إلى حكم الله سبحانه يوم القيمة، وهذه الآيات ليست مخصوصة للمؤمنين بل وللكافرين والمشركين.

وكذلك يبين الله سبحانه أنه ينادي المشركين يوم القيمة ويسألهما: أين شركائي؟ وهم يجيبون على سؤال الله سبحانه... وهذا إشارة إلى أن المشركين والكافرين في موضع السؤال وموضع الجواب.

يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ أَيْنَ شَرَكَاهُ قَالُوا أَذْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ * وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ يَحِيصٍ ﴾.

[سورة فصلت، الآيات: ٤٧ ، ٤٨]

الدلائل على حساب المشركين والكافرين

وما تكلمنا فهو دليل عام .. ولكن هناك دلائل حتمية على وقوع حساب المشركين والكافرين .

أولاً: إن الله سبحانه يشهد أعضاء المشركين والكافرين على أعمالهم :

إن الله سبحانه يشهد على كفر الكافرين وعملهم وشرك المشركين وعملهم أعضاءهم الجسدية ، بعد أن ينطقها الله سبحانه كشهاد ودليل على أعمالهم ، وهذا لا يكون إلا للمشركين والكافرين الذين كفروا وأشركوا وطغوا وبغوا في الحياة الدنيا .

... أما المؤمنون فلا يشهد الله عليهم أعضاءهم وهي خاصة بالمشركين والكافرين ، يقول الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوَزَّعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُوا شَهَدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَبَصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشَهِدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَاَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمُ ظَنُوكُمُ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَدُكُمْ فَاصْبِرُهُمْ مِنَ الْخَسِيرِينَ * فَإِنْ يَصْرِفُوا فَالنَّارُ مَثْوَيْهِمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوْ فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَيِّنِ﴾ .

الأبصار فالسمع فالجلود تشهد على أعمال المشركين والكافرين يوم القيمة وهم بين يدي الله سبحانه ﴿يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . ولم يقل الله سبحانه بما كانوا يشركون ويكررون، فشركهم وكفرهم واقع بهم وقد اعترفوا به وتخاصموا وتجادلوا من أجله أمام الله سبحانه.

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَهُّدُ عَلَيْهِمْ أَلْسُنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

[سورة النور، الآية: ٢٤]

وهؤلاء الشهود حتماً في حق الكافرين والمشركين والمنافقين . ولقد ذهب القرآن الكريم إلى بيان واضح جلي ، إذ يصوّر لنا حال الكافرين والمنافقين الذين ظنوا أن ظاهر عملهم ينفعهم يوم القيمة ، فيقسمون ويحللون أنفسهم كانوا على الحق وأنهم كانوا مؤمنين .

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَتَبَيَّنُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَخْصَنَهُ اللَّهُ وَنَسُوءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ .

[سورة المجادلة، الآية: ٦]

وفي هذه المواقف يقررهم الله سبحانه على جميع أعمالهم . وقد بيّنت السنة الشريفة مثل هذه المواقف عند حساب المشركين والكافرين والمنافقين وهم بين يدي الله سبحانه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث طويل قال فيه: «فيليقى الله العبد فيقول: أي فل: ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى،

أي رب، فيقول: ألم ظنت أنك ملachi؟ فيقول: لا، فيقول: إني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني، فيقول: أي فل: ألم أكرمك، وأزوّجك، وأسودك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، أي رب، فيقول: ألم ظنت أنك ملachi؟ فيقول: لا، يا رب، فيقول: إني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك، وبكتابك، وبرسولك، وصلّيت، وصمت، وتصدقـت، ويثنـي بـخـير ما استطـاعـ، قال: فيـقولـ: فـهـاـهـنـاـ إـذـاـ، قالـ: ثـمـ يـقـالـ: الـآنـ نـبـعـثـ شـاهـدـنـاـ عـلـيـكـ، فـيـذـكـرـ فـيـ نـفـسـهـ: مـنـ الـذـيـ يـشـهـدـ عـلـيـ؟ـ فـيـخـتـمـ عـلـىـ فـيـهـ، وـيـقـالـ لـفـخـذـهـ وـلـحـمـهـ وـعـظـامـهـ: اـنـطـقـيـ، فـتـنـطقـ فـخـذـهـ وـلـحـمـهـ وـعـظـامـهـ بـعـمـلـهـ مـاـ كـانـ، وـذـلـكـ لـيـعـذـرـ مـنـ نـفـسـهـ، وـذـلـكـ الـمـنـافـقـ، وـذـلـكـ الـذـيـ يـسـخـطـ اللـهـ عـلـيـهـ، ثـمـ يـنـادـيـ مـنـاـوـ: لـتـبـعـ كـلـ أـمـةـ مـاـ كـانـ تـعـبـدـ»^(١).

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فضحك، وقال: «هل تدرؤن مم أضحك»؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربها، يعني يوم القيمة، فيقول: يا رب، ألم تجرني من الظلم، قال: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسبياً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختـمـ عـلـىـ فـيـهـ، وـيـقـالـ لـأـرـكـانـهـ: اـنـطـقـيـ، قالـ: فـتـنـطقـ بـأـعـمـالـهـ، ثـمـ يـخـلـىـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ الـكـلـامـ، قالـ: فـيـقـولـ: بـعـدـاـ لـكـ وـسـحـقاـ، فـعـنـكـ كـنـتـ أـنـاضـلـ»^(٢).

- عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «إذا كان يوم القيمة عُرف الكافر بعمله، فجحد وخاصم، فيقول: هؤلاء

(١) رواه مسلم برقم (٢٩٦٨) في الزهد والرقائق.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٩٦٩) في الزهد والرقائق.

جيرانك يشهدون عليك، فيقول: كذبوا، فيقول: أهلك وعشيرتك،
فيقول: كذبوا، فيقول: احلفو فيحلفون، ثم يصيّتهم الله وتشهد ألسنتهم
ويدخلهم النار»^(١).

عن حكيم بن معاوية، عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «تجيئون يوم القيمة، وعلى أفواهكم الفدام فأول ما يتكلم من ابن آدم فخذنه وكفه»^(٢).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ، هذه الآية:

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدَّثُ أَخْبَارَهَا * إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾.

[سورة الزلزلة، الآيات: ٤، ٥]

قال: «أندرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال:
«إِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تُشَهِّدُ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَّةً بِمَا عَمِلَ - عَلَى ظَهُورِهَا، أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ كَذَا، وَكَذَا، فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ أَخْبَارُهَا»^(٣).

فهذه الأحاديث الشريفة تدل دلالة واضحة على وقوف المشركين والكافرين والمنافقين جمِيعاً بين يدي الله قبل أن يأمر بهم جميعاً إلى النار، فيحاسبهم حساباً عسيراً شديداً، ويناقشهم نقاشاً شديداً لا هوادة فيه ولا غفران ولا رحمة، لأن رحمة الله سبحانه حرمتها جل جلاله كما حرم جنته على الكافرين، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم يحاسبون حساباً عسيراً بعد أن يقرفوا كتبهم ويجدوا فيها جميع أعمالهم مسطورة.

يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُولَئِكَ رَبَّهُو يَسِّيِّدُهُ * فَسَوْفَ يُحَاسَّبُ حِسَابًا يَسِّيرًا﴾

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥١): رواه أبو يعلي بإسناد حسن.

(٢) رواه أحمد (٥ / ٣) والطبراني والحاكم في كنز العمال (٣٨٩٩٧).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٢٩٨) وقال: حسن صحيح، والنمساني والحاكم وأحمد.

* وَيَنْقِلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَمَمَّا مِنْ أُوْتَى كِتَابَهُ وَرَأَهُ ظَهِيرَهُ * فَسَوْفَ يَدْعُوا بُورًا * وَيَصِلَّ سَعِيرًا *
إِنَّمَا كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * .

[سورة الانشقاق، الآيات: ٧ - ١٣]

ومعنى هذا أن المشركين والكافرين سوف يحاسبون حساباً عسيراً شديداً، والمؤمنين يحاسبون حساباً يسيراً، يتتجاوز الله سبحانه عنهم، أما من يناقشه الله سبحانه فقد هلك وعدُّب.

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نوتش الحساب عُذُّب» ^(١).

... . وعندما يختتم الله سبحانه على أفواههم بعد أن رفضوا الشهدود جميعاً، يصرخون في أعضائهم بعد أن شهدت عليهم وعلى أعمالهم، أنهم كانوا يناضلون من أجل أن يتمتعوا بأعضاءهم فكيف تشهد عليهم بعد أن متعوها بالمحارم في الدنيا؟ .. والكافر والمنافق ينكر نكراناً شديداً، ذلك أنه يعلم أن ما ينتظره إذا وافق على الشهدود نار خالداً فيها أبداً، لذلك يجادل عسى أن ينفعه كذبه أو خداعه أو أيمانه أو نكرانه لنفاقه وكفره. وهو لا يعلم أن الله سبحانه لا تخفي عليه خافية منهم جميعاً، وإنما ختم على أفواههم وشهادتهم أعضاؤهم، وذلك لتمام العدل والحكم.

ثانياً: العدل الإلهي المطلق وإقامة الحجة على الكافرين والمنافقين:
إن الله سبحانه أحكم الحاكمين وأعدل العادلين فلا يظلم أحداً من خلقه، ولقد وصف سبحانه نفسه في أكثر من آية كريمة أنه لا يظلم أحداً ولا يظلم عبيده ولا يظلم مثقال ذرة.

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة بباب إثبات الحساب رقم (٢٨٧٦).

يقول تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ .

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

ويقول تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَيْدِ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٢]

ويقول تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَيْدِ ﴾ .

[سورة فصلت، الآية: ٤٦]

ويقول سبحانه: ﴿ مَا يُدَلِّلُ الْقُرْلُ لَدَىٰ وَمَا آنَا بِظَلَامٍ لِلْعَيْدِ ﴾ .

[سورة ق، الآية: ٢٩]

من هذه الآيات الكريمة ندرك أن الله سبحانه غير ظلام للعبد، وجميع البشر خلق الله سبحانه وعبده، يتساوى في ذلك كل الناس مؤمنهم وعاصيهم وكافرهم ومنافقهم .. لذلك كان الحساب يوم القيمة للجميع دون استثناء.

فالكفر هو الجريمة الكبرى، ويسمى أصحابها الظالمين وال مجرمين ... ولكن هناك من الكفرة الفجرة من كان كفره أشد إيذاء، أو من كان منهم أشد إثماً لارتكاب الفواحش والمعاصي، أو من كان منهم أشد عداوة لله ورسوله وال المسلمين، فلا بد من أن ينال هذا عذابه الأكبر من الله سبحانه إضافة لكرهه وشركه ونفاقه، فالمنافقون كانوا أشد إيذاء للمؤمنين، لذلك جعل الله سبحانه لهم الدرك الأسفل من النار، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَفِّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ١٤٥]

وإن أول حسابهم أن الله سبحانه يضع بين أيديهم كتب أعمالهم

ليروا ما فيها من شنيع أعمالهم وفظيع فواحشهم وسوء منكراتهم .
 يقول تعالى : « وَوُضِعَ الْكِتَبُ فَرَّى الْمُجْرِمِينَ مُسْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوْمَئِنَا مَا إِلَّا هَذَا الْكِتَبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كِبِيرَةً إِلَّا أَخْصَنَهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا » .

[سورة الكهف، الآية : ٤٩]

ثالثاً : إن الله سبحانه يحاسبهم لتوبتهم وتقريرهم :
 إن كثيراً من الآيات القرآنية الكريمة تشير إلى محاسبة الكافرين وتقريرهم وتوبتهم . . وما ذلك إلا ليزدادوا ألمًا وحسرة وندما على ما فرطوا في جنب الله سبحانه ، وحتى يدخلوا النار صاغرين بعد موقف الذل بين يدي الله سبحانه ، وكذلك حتى تكون جميع مواقفهم في يوم القيمة ذلاً بذل ومهانة بمهانة ، أليس هذا هو مقام المستكبرين على الله سبحانه ؟

يقول تعالى : « وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقْفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُثُرْتُمْ تَكْفُرُونَ » .

[سورة الأنعام، الآية : ٣٠]

ويخاطبهم الله سبحانه يوم القيمة بعد أن يعرضهم على النار قبل أن يدخلوها ، فيسألهم في موقف العرض والحساب .

يقول تعالى : « وَيَوْمَ يُعرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيْبَتُكُمْ فِي حَيَاةِكُمْ أَلْذِيْنَا وَأَسْتَمْنِعُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُحْزِنُنَّ عَذَابَ الْهُوَنِ بِمَا كُثُرْتُمْ تَكْفُرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُثُرْتُمْ نَفْسُوْنَ » .

[سورة الأحقاف، الآية : ٢٠]

ثم يعرضهم الله سبحانه على النار عند حسابه لهم ، ويقول

لهم: أليس هذا بالحق؟ وإن الله حق وإن النار حق وإن الجنة حق وإن الحساب حق، وفي هذا كامل التوبيخ لهم وعذاب النفس ومرارة الندم والحسرة، حيث يقولون بحسرة تعتصر أفئدتهم عندما يسألهم ربهم: أليس ما ترون هو الحق؟

يقول تعالى: «وَيَوْمَ يُعَرَّضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى
وَرِبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ».

[سورة الأحقاف، الآية: ٣٤]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«يراد بالحساب عرض أعمال الكفار عليهم وتوبيقهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات فإن أريد بالحساب المعنى الأول فلا ريب أنهم محاسبون على هذا الاعتبار» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/٣٠٥).

ويقول القرطبي: «وَاللَّهُ سَبَحَانَهُ يَسْأَلُ الْخَلْقَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
تَقرِيرًا لِإِقَامَةِ الْحِجَةِ وَإِظْهَارًا لِلْحِكْمَةِ» تذكرة القرطبي ص ٢٢٥.

رابعاً: حساب المشركين والكافرين على التكاليف الشرعية:

الكافر مكلفوون بأصول الشريعة كما هم مكلفوون بفروعها، أليسوا هم من عباد الله الذين خلقهم وأوجب عليهم شرعاً؟ فالشرع الإلهي أنزل للخلق كافة، فمنهم من آمن وعمل به ومنهم من لم يؤمن ولم ي عمل به... فكفر الكافر شيء وعدم العمل بشريعة الله شيء آخر - فهم مطالبون بالإيمان والعمل الصالح الذي هو شريعة الله سبحانه، ومحاسبون عليها غير حسابهم على كفرهم.

يقول تعالى: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ

فَاسْتَقِمُوا إِلَيْنَا وَأَسْتَغْفِرُوكُمْ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ الرَّحْكَوَةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفَرُونَ .

[سورة فصلت، الآيات: ٦ ، ٧]

فهذه الآية تبيّن أن المشركين والكافرين مطالبون بشرع الله، ولدليل ذلك ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ الرَّحْكَوَةَ﴾ فإذا كانوا مشركين فكيف هم مطالبون بدفع الزكاة؟

وربما يكون أيضاً حسابهم على الصلاة والصيام والحج.. أليس الله سبحانه هو الخالق الذي خلقهم جميعاً؟ أليس له عليهم حقوق وفرض وواجبات من واقع عبوديتهم لله، ما أقاموها وما فعلوه.. فيجزي الله من أقامها وفعلها ويعاقب من تركها ولم يؤدها.. إنه مطلق الحق ومطلق العدل.. وكذلك باقي أوامر الله سبحانه، فالله سبحانه أمر النساء بالحجاب وارتداء ما يستر عوراتهن، ومع ذلك فإن رسول الله ﷺ توعد النساء وإن كن مؤمنات بأن المرأة الكاسية العارية لا تشم رائحة الجنة ولو كان من بعد كذا وكذا.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات ممillas مائلات، رؤوسهن كأسنة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». صحيح مسلم رقم الحديث ٢١٢٨.

فعوقبت المرأة وإن كانت مؤمنة بالله سبحانه ورسوله على تركها أمراً من أوامر الله سبحانه.. وكذلك فإن الكافرين مكلفوون بالأعمال التي أمر الله سبحانه بها ومعاقبون على تركها.

خامساً: يحاسب الكافرون ويهبطون في دركات النار بقدر كفرهم وأعمالهم:

الكافر يتفاوتون في كفرهم وذنوبهم ومعاصيهم، فمنهم العتل الشديد الذي كان في الأرض أشد سعيًا للفساد ومحاربة الله سبحانه، لذا فإنهم يمكثون في النار على قدر هذه الذنوب... فالنار درجات (درجات) بعضها تحت بعض، كما أن الجنة درجات بعضها فوق بعض، فالمؤمنون يثابون على إيمانهم ويرفعون في الجنة إلى درجاتها بقدر ما قدّموا من أعمال، وكذلك الكافرون يعاقبون على كفرهم في النار ويهبطون في درجاتها بقدر ما فعلوا من ذنوب ومعاصي وفواحش ومنكرات.

يقول تعالى: ﴿فَوَرِيكَ لَنْهَسْرُنْهُمْ وَالشَّيْطَنِينَ ثُمَّ لَنْخَضِرُنْهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ حِشِّيَّكَ ثُمَّ لَنَزِعَرَ مِنْ كُلِّ شِيَعَةٍ أَيْمَمْ أَشَدُ عَلَى الرَّحْمَنِ عِنْيَكَ﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلَّكَ .

[سورة مریم، الآیات: ٦٨ - ٧٠]

إذاً هناك من كل شيعة من الكافرين فئة كانوا في الدنيا أشد على الرحمن عتياً أي عداوة واستكباراً وفعلاً للمنكرات والفواحش، وهذا يكون بعد الحساب فيأخذ الله أشدّهم كفراً ويضعهم في الدرجات السفلية التي هي أشد عذاباً وألاماً، تماماً كما سيفعل الله سبحانه مع المنافقين.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَفِّقِينَ فِي الدُّرُكِ أَلَا سَقَلَ مِنَ النَّارِ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ١٤٥]

يقول ابن تيمية شيخ الإسلام رحمه الله:

« عقاب من كثرة سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته ، ومن كان له حسنات خفت عن العذاب ، كما أن أبا طالب أخف عذاباً من أبي لهب .. فكان الحساب لبيان مراتب العذاب ، لا من أجل دخول الجنة)١(.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤ / ٣٠٥).

في النصوص المتقدمة بيان واضح إلى أن الكفار يحاسبون ويسألون عن أعمالهم، ولكن يبقى السؤال؟

ماذا نقول في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ .

[سورة القصص، الآية: ٧٨]

وفي قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ و﴿لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ .

[سورة المرسلات، الآيات: ٣٥، ٣٦]

نقول وبالله العون: إنه ليس بين ما تقدم من آيات ونصوص تعارض مع تلك الآيات التي تقول: إنه لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ولا يؤذن لهم فيتكلمون أو يعتذرون، فقد وُقّع أهل العلم بين هذه النصوص.

الأول: إن الكفار لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يسألون سؤال تقرير وتبيخ لِمَ عملتم كذا وكذا^(١)؟

الثاني: إنهم لا يسألون سؤال استفهم لأنه تعالى عالم بكل أحوالهم وأعمالهم، وإنما يسألون سؤال تقرير فيقال لهم: لِمَ فعلتم كذا؟ قال الحسن وقتادة: لا يسألون عن ذنوبهم لأن الله سبحانه حفظها عليهم وكتبتها الملائكة^(٢).

الثالث: إنهم يسألون يوم القيمة في موطن دون موطن، قال القرطبي: «القيمة مواطن، فموطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك»، وقال السفاريني: «وقيل: يسألون في موطن دون موطن». رواه عَبْرِمَةُ عن ابن عباس رضي الله عنهما... فللناس يوم القيمة حالات، والآيات مخرجة باعتبار تلك الحالات، ومن ثم قال الإمام

(١) التذكرة للقرطبي ص ٢٨٧.

(٢) لوعاج الأنوار البهية: (٢ / ١٧٤).

أحمد في أجوبيه القرآنية: أول ما تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون، ثم يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون، فذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَلِحًا﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٢]

فإذا أذن لهم في الكلام تكلموا، واختصموا، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْصَمُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٣١]

ذلك عند الحساب وإعطاء المظالم، ثم يقال لهم بعد ذلك: ﴿لَا تَخْصِمُوا لَدَىَ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعْدِ﴾.

[سورة ق، الآية: ٢٨]

الرابع: قال القرطبي: «إن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشَئُّ عَنْ ذُؤْبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٧٨]

سؤال التعرف لتمييز المؤمنين من الكافرين، أي إن الملائكة لا تحتاج أن تسأل أحداً يوم القيمة: ما دينك؟ وما كنت تصنع في الدنيا؟ حتى يتبيّن لهم إخباره عن نفسه أنه كان مؤمناً أو كان كافراً، لكن المؤمنين يكونون ناضري الوجوه منشرحي الصدر، ويكون المشركون سود الوجوه زرقاً مكروبين، فهم إذا طلبوا سوق المجرمين إلى النار، وتميّزهم في الموقف، كفتهم مناظرهم عن تعرف أديانهم»^(١).

(١) القيمة الكبرى للدكتور عمر سليمان الأشقر.

الفصل الثاني

ـ الميزان ووزن أعمال العباد.

ـ هل الميزان ميزان حقيقي أم ميزان معنوي؟

ـ هل الميزان واحد لكل الخلائق أم لكل إنسان ميزان خاص به؟

ـ الميزان عند أهل السنة.

ـ هل الوزن يأتي على الأعمال أم على الأعمال مع أصحابها أم على كتب الأعمال؟

أولاً: وزن الأعمال.

ثانياً: وزن العامل نفسه أي (صاحب العمل).

ثالثاً: وزن صحائف الأعمال.

ـ صفة الميزان وحجمه.

ـ هل توزن الأعمال لكل البشر مؤمنهم وعاصيهم وكافرهم؟

الطبقة الأولى.

الطبقة الثانية.

الطبقة الثالثة.

ـ الوزن والميزان من المواطن الرهيبة يوم القيمة.

الميزان ووزن أعمال العباد

قبل أن نبدأ بالحديث عن الميزان، نذكر الآيات الكريمة التي تحدث الله سبحانه عنها عن الميزان وزن الأعمال لعباده يوم القيمة، وكذلك عن وعده الحق بوزن الأعمال بميزان يزن الدرة وما دونها وما أكبر منها، ولا يضيع عنده من الأعمال ما كان وزنه مثاقيل الدر، لدقة الله سبحانه في حكمه وزنه وعدله، فالله سبحانه هو أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، فكلنا سنكون عنه في محكمة العدل الإلهي فلا تظلم نفس شيئاً مهما صغر أو كبر.

قال تعالى : ﴿ وَنَعْصُمُ الْمَوْزِينَ الْقَسْطَ لِيَوْمٍ أَلْفَيْنَمَّةٍ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالًا حَبَّةٍ مِّنْ خَرَدٍ لِّأَنِّيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبًا ﴾ .

[سورة الأنبياء، الآية : ٤٧]

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَلِدُونَ ﴾ .

[سورة المؤمنون، الآياتان : ١٠٢ ، ١٠٣]

وقال تعالى : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحُقُوقُ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِعَائِنَتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآياتان : ٨ ، ٩]

وقال تعالى : ﴿ فَامَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَامَّا مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَامْتُمُ هَاوِيَةٌ * وَمَا ادْرِكَ مَا هِيَهُ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ .

[سورة القارعة، الآيات : ٦ - ١١]

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَيِّكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْدَلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسُنُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صُنْعًا إِذْلِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَاءِهِ فَعِطْتَهُمْ أَعْمَلَهُمْ فَلَا تُقْرُبُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴾ .

[سورة الكهف، الآيات : ١٠٣ - ١٠٥]

مما تقدم من الآيات الكريمة ، ندرك تماماً أن الإنسان توزن أعماله بعد أن ينتهي الله سبحانه من حساب الخلائق جميعاً ، وبعد أن يأخذ كل ذي حق حقه ، ويدفع كل ظالم ما عليه من حساب للذين ظلمهم في الحياة الدنيا ، وبعد أن يأخذ المظلوم كامل حقه حتى لو كانت كلمة قالها فلان من الناس في حقه في الدنيا ، ولو كان درهماً أو أقلً من ذلك أخذه فلان من الناس بغير حق من فلان وماتا ولم يستسمح المدين من الدائن ولم يسامح الدائن المدين ، مهما كان مبلغ المال الذي كان له عنده .

... وكل ذلك يسجل في صحيفة الأعمال ما أخذ منه من سيئات وما أعطي له من حسنات .. ويضاف هذا إما على حسناته فتزداد حسناته وإما على سيئاته فتزداد سيئاته .. كل ذلك والمرء يومئذ بأمس الحاجة إلى حسنة واحدة ، رجاء أن تدفع عنه ولو سيئة واحدة .

... كل هذا كائن ، ويومئذ تعصر الحسرة والندامة أفيءدة الظالمين على ما ظلموا به عباد الله تعالى في الدنيا ، لما يرون من عدل الله سبحانه ودقة حسابه ولو كان مقداره ذرة واحدة لا وزن لها ولا ترى في العين .. ولكنها عند الله ثقيلة ومرئية وواضحة وظاهرة لأن الله سبحانه أحصاها وهم نسوها .

يقول تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

[سورة الزمر، الآيات : ٧ ، ٨]

ويقول تعالى: ﴿أَخْصَنَهُ اللَّهُ وَسُوهٌ﴾.

[سورة المجادلة، الآية: ٦]

نسوه لصغره فظنوا أن هذا لا قيمة له، وإذا به أمامهم يوم القيامة عند الحساب، لذلك عندما يقرؤون كتبهم تصدفهم المفاجأة حيث يرون أن كتابهم قد سطر فيه مثاقيل الذر من الأعمال، فيعجبون من هذه الدقة، ويقولون والخوف من الله يعتصر قلوبهم ويجعل نفوسهم تغلي فرعاً وكأنها في مِرْجَل يحرق نفوسهم وقلوبهم.

ويقول تعالى: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَبِ لَا يُفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كِبِيرَةً إِلَّا أَخْصَنَهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

لذلك يتوجه الله سبحانه لأولئك فيقول لهم:

يقول تعالى: ﴿أَقْرَأَ كِتَبَكَ كُنْ يَنْفِسُكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ١٤]

فإذاقرأ لا يستطيع أن ينكر من هذا شيئاً، فالعمل حاضر أمامه سواء بالصورة أم بالصوت أم بالقلم . . .

. . . لقد استطاع الإنسان على قلة علمه كما وصفه الله سبحانه في القرآن الكريم .

يقول تعالى: ﴿وَمَا أُوْتِتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

استطاع أن يصمم جهازاً وألة تصور الإنسان وتسجل أعماله وكلامه وحركاته وحتى غمز عيونه، وما صور منذ مائة عام يعرضاليوم بكل دقة، وما يحفظ من النسخ والتكييف يمكن عرضه ولو بعد

ألف عام . . . فكيف بما عند الله سبحانه وتعالى؟ . . وكيف يستطيع الإنسان أن ينكر من عمله شيئاً وهو حاضر أمامه بعلم الله وقدرته صوتاً وصورة وكتابه . . فأين الهروب، ومن أين الخروج، وكيف يستطيع أن يتصل وينكر عمله وهو أمام الله الخالق القادر العليم؟ . . قلنا: فإذا تم الحساب وسطر كل ذلك في صحيفة الحسنات، زيادة في الحسنات أو زيادة في السيئات بعدأخذ كل ذي حق حقه توزن تلك الصحائف . . فآخذ باليمين وأخذ بالشمال وأخذ من وراء ظهره، جعلنا الله سبحانه من أهل اليمين.

تنبيه:

لقد اختلف العلماء والمفسرون في حقيقة الميزان ووزن الأعمال فتعددت الآراء وكثرت التفاسير، وكثير أدلى بدلوه في هذا الباب . . وللمعرفة والبيان وإيضاح الأمور نستعرض بعض آراء العلماء حول الميزان ووزن الأعمال لنقف على حقيقة الأمر في النهاية ونرى الرأي الراجح في هذا الخصوص .

هل الميزان ميزان حقيقي أم ميزان معنوي؟!

- لقد دللت جميع النصوص أن الميزان ميزان حقيقي لا يقدر قدره ولا حجمه إلا الله سبحانه .

- عن سليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوضع الميزان يوم القيمة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعهن» .

فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبادناك حق عبادتك^(١) .

.. فهو ميزان حقيقي دقيق لا يزيد في وزنه ولا ينقص ولو كان مقدار حبة من خردل أو كان مقدار ذرة من خير أو شر.

يقول تعالى: «وَنَضَعُ الْمَوْزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا نُظْلِمُ نَفْسًا شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرَدَلٍ أَنَّا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ» .

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

ويقول القرطبي في هذا الخصوص:

قال العلماء: إذا انقضى الحساب بدأ بعده وزن الأعمال، والوزن مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها، قال: قوله: «وَنَضَعُ الْمَوْزِينَ

(١) رواه الحاكم .. سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢ / ٦٥٦) رقم الحديث ١٩٤

الْقِسْطُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا ظُلْمٌ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبَيْنَ ﴿٤٧﴾ .

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

يتحتمل أن يكون ثم موازين متعددة، توزن فيها الأعمال، ويتحتمل أن يكون المراد الموزونات، فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة، والله أعلم.

هل الميزان واحد لكل الخلائق أم لكل إنسان ميزان خاص به؟

في هذا الأمر اختلف العلماء، واختلافهم ليس من واقع اجتهادهم وتحليلهم إنما من واقع تفسير الآية القرآنية الكريمة.

يقول تعالى: ﴿وَنَضَغَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمٍ الْقِيَمَةِ فَلَا نُظْلِمُ نَفْسًا شَيئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرَدِ الْأَنْيَنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

فمن هذه الآية الكريمة ذهب بعض العلماء إلى أن لكل إنسان ميزاناً توزن به أعماله أو لكل عمل ميزاناً... ولكن ذهب علماء آخرون إلى أن الميزان واحد، يزن الله سبحانه فيه أعمال العباد جميعاً.. وقالوا: إن الجمع في الآية الكريمة من سورة الأنبياء ﴿وَنَضَغَ الْمَوَازِينَ﴾، إنما هو باعتبار تعدد الأعمال أو الأشخاص وليس باعتبار تعدد الموازين.

وقد رجح ابن حجر.. بعد حكايته للاختلاف أن الميزان واحد قال: «ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله، لأن أحوال القيمة لا تكيف بأحوال الدنيا»^(١).

وقال السفاريني: قال الحسن البصري: لكل واحد من المكلفين ميزان.

(١) فتح الباري (٣ / ٥٣٧).

وقال بعضهم: الأظهر إثبات موازين يوم القيمة لا ميزان واحد لقوله تعالى: «وَنَصَّعُ الْمَوَازِينَ»، وقوله تعالى: «وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ». وقال ابن عطية: «وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، ولأفعال الجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان، وميزان للأخلاق، وميزان لأحوال النفوس وميزان وميزان . . .».

وأردف ابن عطية القول: «الناس على خلافه، وإنما لكل واحد وزن مختص به، والميزان واحد، وقال بعضهم: إنما جمع الموازين في الآية الكريمة لكثرة من توزن أعمالهم»^(١).

وقيل وهو من أصح الأقوال: «جمع الموازين «وَنَصَّعُ الْمَوَازِينَ» مع أنها ميزان واحد لتعظيم شأن الميزان».

والأرجح هو ميزان واحد قائم بقدرة الله سبحانه ليزن جميع أعمال العباد.. والله أعلم.

(١) لوامع الأنوار البهية: (٢ / ١٨٦).

الميزان عند أهل السنة

الميزان عند أهل السنة ميزان حقيقى توزن به أعمال العباد ولم يخالف في ذلك إلا قلة قليلة جداً.

.. قال ابن حجر : « قال أبو إسحاق الزجاج : أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان ، وأن أعمال العباد توزن به يوم القيمة وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال » .

.. ولقد أنكرت المعتزلة الميزان ، وقالوا : هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسنة ، ذلك أن الله سبحانه بين أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ، ليرى جميع العباد أعمالهم ممثلاً ، وليكونوا أيضاً شاهدين على أنفسهم ، لدقة عدل الله سبحانه .

ولقد تحدث ابن فورك عن المعتزلة وإنكارهم للميزان فقال : « أنكرت المعتزلة الميزان بناءً منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بوزنها ». والمعنى أن الحسنات أو السيئات ليس لها وزن كما للحديد وزن أو للخشب وزن .. ولقد حكموا على هذا من واقع تصورهم الدنيوي ، ولكن للدنيا حال ولآخرة أحوال ، والله سبحانه لا يعجزه شيء في تمثيل الأعمال والحسنات والسيئات فيكون لها وزن .. فعلم ابن آدم قليل ومن القليل لا تكون الحقيقة .
يقول تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ .

[سورة الإسراء ، الآية : ٨٥]

.. ولقد ذهب بعض السلف إلى أن الميزان بمعنى العدل

والقضاء، وعزا الطبرى هذا الرأي لكل من مجاهد والضحاك والأعمش، ولعل هؤلاء العلماء فسروا الميزان بالعدل لقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ * ﴿أَلَا تَطْغُوا فِي الْمِيزَانِ﴾ * ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ * ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ .

[سورة الرحمن، الآيات: ٧ - ٩]

فالميزان في هذه الآية الكريمة العدل، أمر الله سبحانه عباده أن يتعاملوا به في الدنيا .. ولكن أحوال الآخرة غير هذا، فالميزان الذي ينصب يوم القيمة توالت تواترت بذكره الأحاديث الشريفة، وأنه ميزان حقيقي وهو ظاهر القرآن الكريم^(١) .

ولقد ذكر الميزان عند الحسن البصري فقال: «له لسان وكفتان»^(٢) .

ولقد رد القرطبي على الذين أنكروا الميزان وأولوا النصوص الواردة فيه وحملوها على غير محملها قائلاً:

« قال علماؤنا: ولو جاز حمل الميزان على ما ذكروه لجاز حمل الصراط على معنى (الدين الحق) والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأحزان والأفراح، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة .. وهذا كله فاسد لأنه رد لما جاء به الصادق المصدوق عليه السلام ، وقد ورد في الصحيحين: (فيعطي صحفة حسناته)، وكذلك (فيخرج له بطاقة)، وذلك يدل على الميزان الحقيقي، وأن الموزون صحف الأعمال كما بيئاً وبالله التوفيق»^(٣) .

(١) النهاية لابن كثير (٢ / ٣٤) بتصرف يسير.

(٢) فتح الباري (١٣ / ٥٣٨).

(٣) التذكرة (صفحة ٣١٤).

.. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«الميزان ما توزن به الأعمال وهو غير العدل كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنَّة مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقِلَتْ مَوَازِينُهُ﴾».

[سورة المؤمنون، الآية: ١٠٢]

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١٠٣]

وقوله تعالى: ﴿وَضَعُفَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

... فقد دلَّ ابن تيمية على أن الميزان غير العدل الوارد في سورة الرحمن وأنه ميزان حقيقي توزن به الأعمال.

.. وأما الإمام أحمد فقد رد على من أنكر الميزان بشدة حيث قال: إن الله تعالى ذكر الميزان في قوله: ﴿وَضَعُفَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

وكذلك فإن النبي ﷺ ذكر الميزان يوم القيمة.

فمن رد على النبي ﷺ فقد رد على الله عزَّ وجلَّ^(١).

... وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «كلماتان خفيتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحانه الله العظيم».

وقال ﷺ عن ساقئي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لهمَا في الميزان أثقل من أحد».

(١) فتح الباري (١٣ / ٥٣٨).

... وعلى تعدد الآراء فإن الراجح وهو الحق بإذن الله تعالى: أنه ميزان حسي له لسان وكفتان، وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء.

والله سبحانه لا يعجزه أن يزن الحسنات وأن يزن السيئات وأن يكون للحسنة وزن وللسيئة وزن.

هل الوزن يأتي على الأعمال أم على الأعمال مع أصحابها أم على كتب الأعمال؟؟

أيضاً لقد اختلف علماء السلف رضي الله عنهم في (الموزون) يوم القيمة أهو الأعمال؟ أم هو الأعمال مع أصحابها؟ أم كتب الأعمال والأقوال؟ ولكل وجهة ودليل . . . إذاً هناك ثلاثة وجوه لكيفية الوزن.

أولاً: وزن الأعمال:

- روى البخاري . . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلماتتان حبستان إلى الرحمن، خفيتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»^(١). وبهذا الحديث استدل البخاري على أن ذات الأقوال والكلمات توزن والأعمال كذلك.

وقال البخاري في صحيحه: باب قول الله تعالى: «وَنَصَّعُ الْمَوْزِنَةَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ» إن أعمال بني آدم وأقوالهم توزن، وقال مجاهد: القسطاس العدل - بالرومية - ويقال: القسط مصدر المقسط وهو العادل، وأما القاست فهو الجائر.

- عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله

(١) رواه البخاري في صحيحه.

وَبِحَمْدِهِ: «الظهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ أو تملأ - ما بين السماء والأرض - والصلوة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، القرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»^(١).

... وقد دلت نصوص كثيرة على أن الأعمال تأتي يوم القيمة في صورة يعلمها الله سبحانه .. ومن ذلك مجيء القرآن الكريم شافعاً لأصحابه يوم القيمة.

- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«اقرءوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيمة شفيعاً لأصحابه. اقرءوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهم تأتين يوم القيمة كأنهما غمامتان، أو غياثتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما»^(٢).
غياثتان: أقل كثافة من الغمامات. فرقان: طائفتان.

- عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يؤتي بالقرآن يوم القيمة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران، كأنهما غمامتان، أو ظلتان بينهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما»^(٣).
شرق: نور.

ولقد رجح ابن حجر العسقلاني هذا القول وقال: «الصحيح أن الأعمال هي التي توزن».

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، مشكاة المصايح ورقم الحديث (٢١٢٠).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، مشكاة المصايح ورقم الحديث ٢١٢١.

ثانياً: وزن العامل نفسه أي (صاحب العمل):

وهذا يكون بتقدير الله سبحانه أن يوزن العامل نفسه مع عمله .
فقد دلت بعض النصوص والأحاديث الشريفة أن العباد يوزنون يوم القيمة ، فيثقلون في الميزان بمقدار إيمانهم لا بضخامة أجسامهم وكثرة ما عليهم من لحم ودهن .

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
«إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح
بعوضة ، وقال : اقرؤوا ﴿فَلَا تُقْبِلُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَنَزَّ﴾»^(١) .

- روى أحمد في مسنده ، عن زر بن حبيش عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان دقيق الساقين ، فجعلت الريح تلقيه ، فضحك القوم منه ، فقال رسول الله ﷺ : «مِمَّ تضحكون؟ قالوا : يا نبي الله من دقة ساقيه» ، قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»^(٢) .

الثالث : وزن صحائف الأعمال :

لقد ذهبت طائفة من العلماء إلى أن الذي يوزن يوم القيمة هو كتب الأفعال والأقوال ، واستدلوا على ذلك بحديث (البطاقة المشهور) .

- قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ، حدثنا ابن المبارك ، عن ليث بن سعد ، حدثني عامر بن يحيى ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، واسمه عبد الله بن يزيد ، سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، يقول : قال رسول الله ﷺ : «إن الله يستخلص رجالاً من أمتي على رؤوس الخلاق يوم القيمة ، فينشر الله عليه تسعه وتسعين

(١) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الكهف ، فتح الباري (٨ / ٤٢٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده ، قال ابن كثير : ثقہ به أحمد وإنسانه جيد قوي .

سجلاً، كل سجل مدّ البصر، ثم يقول له: أتذكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبكي الرجل، فيقول: بلـى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يشـل شيء مع بـسم الله الرحمن الرحيم^(١). وفي رواية: «لا يشـل شيء مع اسم الله تعالى».

قال أـحمد: حدثـنا ابن لـهـيـعـةـ، عن عمـروـ بنـ يـحيـيـ، عن أبي عبد الرحمن الجـبـليـ، عن عبد اللهـ بنـ عمـروـ بنـ العـاصـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـماـ قالـ: قالـ رسولـ اللهـ ﷺـ: «تـوضعـ المـواـزـينـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ، فـيـؤـتـىـ بـالـرـجـلـ فـيـوـضـعـ فـيـ كـفـةـ، فـيـوـضـعـ مـاـ أـحـصـيـ عـلـيـهـ فـيـتـمـاـيلـ بـهـ المـيـزـانـ، قـالـ فـيـبـعـثـ إـلـىـ النـارـ، قـالـ: إـذـاـ أـدـبـرـ صـاحـصـائـحـ مـنـ عـنـدـ الرـحـمـنـ تـبـارـكـ وـتـعـالـيـ يـقـولـ: لـاـ تـعـجـلـوـاـ، لـاـ تـعـجـلـوـاـ فـإـنـهـ قـدـ بـقـيـ لـهـ، فـيـؤـتـىـ بـيـطـاقـةـ فـيـهـ: إـلـهـ إـلـاـ اللهـ، فـتـوـضـعـ مـعـ الرـجـلـ فـيـ كـفـةـ، حـتـىـ يـمـيلـ بـهـ المـيـزـانـ»^(٢)

تنبيـهـ: حـدـيـثـ الـبـطـاقـةـ هـذـاـ . . . نـاقـشـهـ كـثـيرـ مـنـ الـعـلـمـاءـ، هـلـ هـذـاـ عـفـوـ مـنـ اللهـ سـبـحـانـهـ يـشـمـلـ كـلـ الـعـصـاـةـ، كـوـنـهـ يـشـهـدـونـ بـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللهـ سـبـحـانـهـ؟؟ أمـ هـذـاـ وـاقـعـ فـقـطـ عـلـىـ حـالـةـ وـاحـدـةـ هـيـ هـذـاـ الرـجـلـ فـقـطـ؟

وـالـقـوـلـ الصـحـيـحـ: إـنـ هـذـاـ فـقـطـ مـعـ هـذـاـ الرـجـلـ الـذـيـ تـحـدـثـ عـنـ رـسـولـ اللهـ ﷺـ، أـمـاـ لـمـاـذاـ وـكـيـفـ تـرـجـعـ بـطاـقـةـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللهـ عـلـىـ ٩٩

(١) رواه أـحمدـ (٢٢١ـ /ـ ٢)، وـالـتـرمـذـيـ (٢٦٣٩ـ) فـيـ الإـيمـانـ، وـابـنـ مـاجـهـ (٤٣٠٠ـ).

(٢) رواه أـحمدـ (٢٢١ـ /ـ ٢)، وـقـالـ الـهـيـثـمـيـ فـيـ مـجـمـعـ الرـوـاـنـدـ (١٠ـ /ـ ٨٢ـ): رـوـاهـ أـحمدـ.

سجلاً مليئة بالذنوب والمعاصي؟ وهي حالة واحدة تكون يوم القيمة؟ . وللعلماء في هذا الحديث أقوال:

... فإن قيل كيف رجحت بطاقة شهادة هذا على تلك السجلات المليئة بالذنوب، مع أن جميع العصاة من المسلمين عندهم هذه الشهادة ولم ترجح على كتب معاصيهم وذنبهم؟

فالجواب عن ذلك من وجوه:

أولاً: إن كلمة الشهادتين قد يكون بها الإسلام لهذا الرجل، وقد تكون حسنة من الحسنات التي أتى بها صاحبها بعد الدخول في الإسلام. فمن كان كافراً فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ودخل بها في الإسلام، فإن هذه الشهادة وهي شهادة الإسلام تهدم ما قبلها من الذنوب والمعاصي، كما جاء في صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له حين جاء يبايعه على الإسلام: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما قبلها، وأن الحج يهدم ما قبله» الحديث الشريف.

... وأما من كان مسلماً وتشهد أو هلل فإن ذلك يعتبر حسنة بل من أكبر الحسنات كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مستنه عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله: أوصني!

قال ﷺ: «إذا عملت سيئة فأتبعها بحسنة تمحها». قال: قلت: يا رسول الله، أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: «هي أفضل الحسنات». والمعنى أن لا إله إلا الله تمحو من السيئات على حساب إخلاص قائلها فيها، كما هو شأن سائر الحسنات بل هي أفضل الحسنات، وقد قال تعالى: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ الْسَّيِّئَاتِ».

صاحب البطاقة الوارد ذكره في الحديث السابق - فيه قوله :

الأول : يحتمل أنه كان كافراً ثم أسلم في آخر عمره وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وختم له بذلك فحينئذ يكون بها إسلامه، والإسلام يهدم ما قبله من الذنوب.

والقول الثاني : أنه كان مسلماً لكنه مسرف على نفسه بكثرة ذنبه التي ملأت تسعه وتسعين سجلاً بالخطايا والذنوب، ولكن له حسنة كبيرة قد تقرّب بها إلى الله تعالى وهي : «لا إله إلا الله محمد رسول الله» المسطورة في البطاقة الصغيرة الحجم، لكن صاحبها قد قالها في آخر عمره، وقد نطق بهاتين الشهادتين منيّاً إلى ربه، تائباً من ذنبه، خائفاً من العقاب ومن سوء الحساب، مقبلاً بقلبه على الله تعالى، خائفاً من ذنبه، راجياً رحمة ربه، هكذا كانت خاتمة عمره، فكانت المغفرة عاقبة أمره .

والحاصل أن خاتمة هذا الرجل كانت حسنة، وهي الشهادة الصادرة عن قلب منيّ، وعن توبة إلى الله تعالى من جميع الذنوب، وعن خوف من الله تعالى أن يعاقبه على ذنبه، وعن رجاء من الله تعالى أن يرحمه فيغفر له، وكان له ذلك لأن العبرة بالخواتيم. اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، فيكون هذا الرجل هو نظير الرجل الآخر الذي ورد أنه قتل تسعه وتسعين نفساً، ثم ذهب إلى القوم العابدين ليعبد الله تعالى ، تائباً من ذنبه منيّاً إلى الله تعالى بقلبه، فجاءه الموت قبل أن ينتهي إلى القوم العابدين، وهناك يأمر الله تعالى الملائكة أن يقيسوا بين الأرض التي خرج منها، والأرض التي أرادها، فإلى أيهما أقرب؟ فإذا هو أقرب إلى الأرض التي أرادها بشبر، فغفر الله تعالى له وألحقه بالثائبين العابدين .

ورد في الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كان فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلًا قُتِلَ تِسْعَةً وَتِسْعَينَ نَفْسًا، فَسُأْلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدَلَّ عَلَى رَاهِبٍ - أَيِّ عَابِدٍ غَيْرِ عَالَمٍ - فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ إِنَّهُ قُتِلَ تِسْعَةً وَتِسْعَينَ نَفْسًا، فَهَلْ مِنْ تُوبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتْلُهُ فَكَمْلَةٌ لِمَا بَرَأَهُ إِنَّهُ قُتِلَ مَائَةً نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تُوبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التُوبَةِ؟! انطَّلَقَ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بَهَا أَنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعْهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضٌ سُوءٌ. فَانطَّلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ مَلِكُ الْمَوْتِ .». إِلَى تَمَامِ الْحَدِيثِ، كَمَا تَقْدِمُ فِي بَحْثِ لِقاءِ اللَّهِ تَعَالَى .

فَصَاحِبُ الْبَطَاقَةِ الَّذِي نَحْنُ فِي بَحْثِهِ، وَشَمُولُ الْمَغْفِرَةِ لَهُ، هُوَ مِنْ جِهَةِ حُسْنِ الْعَاقِبَةِ نَظِيرُ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قُتِلَ مَائَةً نَفْسًا الَّذِي قَالَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قُطْ، وَلَكِنْ قَالَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: إِنَّهُ جَاءَ تَائِبًا مُقْبَلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

القول الثالث: قال بعض العلماء: إن صاحب البطاقة أراد الله الغفور الرحيم أن يكرمه إكراماً خاصاً، ويعلن ذلك على رؤوس الخلائق، فغر له جميع ذنبه ومحاها عنه بسبب تلك الشهادة التي تقرب بها إلى الله سبحانه.

فهذا من باب الإكرام الإلهي الخاص به، كما يشير إلى ذلك قوله ﷺ في صدر الحديث: «إن الله تعالى سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق».

هذا وإن الله تعالى الغفور الرحيم يغفر لمن يشاء من المذنبين المرتكبين الذين لم يتوبوا، فضلاً منه وكرماً، كما هو الاعتقاد عند

أهل السنة والجماعة، ويعذب من يشاء من العصاة المرتكبين، فالأمر عائد إليه سبحانه وتعالى.^(١)

... والأرجح في القول: أن الذي يوزن هو صحائف الأعمال بما تحمل من حسنات وسيئات.

صفة الميزان وحجمه

لقد ذكر الترمذى الحكيم في نوادر الأصول:

«لقد جاءت كفة الحسنات من نور والأخرى من ظلام والكتفة النيرة للحسنات، والكتفة المظلمة للسيئات، وجاء في الخبر: أن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش، ويؤتى بالميزان فينصب بين يدي الله تعالى، كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة وكفة السيئات عن يسار العرش مقابل النار»^(٢).

وروى عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: «توضع الموازين يوم القيمة، فلو وضعت فيهن السماوات والأرض لوسعتهن فتقول الملائكة: يا ربنا ما هذا؟ فيقول: أزن به لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة عند ذلك: ربنا ما عبدناك حق عبادتك». وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان»^(٣).

- أثقل ما يوضع في الميزان من الأعمال:

وقال أحمد: عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مالك، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن

(١) الإيمان بعوالم الآخرة وموافقتها للشيخ عبد الله سراج الدين.

(٢) التذكرة للقرطبي صفحة ١٠.

(٣) التذكرة للقرطبي صفحة ١٠.

النبي ﷺ: «أثقل شيء يوضع في الميزان خلق الإنسان».

وقد وردت الأحاديث بوزن الأعمال أنفسها كما في صحيح مسلم، من طريق أبي سلام، عن أبي مالك الأشعري، قال رسول الله ﷺ:

«الظهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وبسبحان الله، والحمد لله تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلوة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها»^(١).

فقوله: «الحمد لله تملأ الميزان» فيه دلالة على أن العمل نفسه وإن كان عَرَضاً قد قام بالفاعل، يحييه الله يوم القيمة فيجعله ذاتاً، ويوضع في الميزان.

عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: أثقل شيء يوضع في الميزان خلق حسن^(٢).

[رواه أحمد عن سفيان بن عيينة]

عن أبي الدرداء: أن رسول الله ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن»^(٣)، وأخرجه أبو داود من حديث شعبة، به، والترمذى من حديث مطرف عن أبي سلام، عن مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «بخ بخ لخمس، ما أثقلهن في الميزان: لا إله إلا الله، والله أكبر، وبسبحان الله، والحمد لله، والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده»، وقال: «بخ بخ لخمس: من لقي الله مستيقناً بهن دخل

(١) رواه مسلم (٢٢٣) في الطهارة، باب: فضل الوضوء.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٠٢).

(٣) رواه أحمد (٤٤٦ و ٤٤٨)، وأبو داود (٤٧٩) في الأدب، باب: في حسن الخلق، والترمذى (٢٠٣) في البر والصلة، باب: ما جاء في حسن الخلق، ورواوه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٠).

الجنة: يؤمن بالله، واليوم الآخر، وبالجنة والنار، وبالبعث بعد الموت، والحساب»^(١). انفرد به أحمد.

وكما ثبت في الحديث الآخر: «تأتي البقرة وآل عمران يوم القيمة لأنهما غمامتان، أو غيابتان من طير صواف، تحاجان عن صاحبها»^(٢). والمراد من ذلك أن ثواب تلاوتهما، يصير يوم القيمة كذلك.

تبنيه: وهكذا نجد أن ما يشغل الميزان هوخلق الحسن والذكر والتسبیح والقرآن الكريم وأخصه ذكرًا: سورة البقرة وآل عمران، كما ورد في الحديث الشريف، وكذلك العلم الذي ينفع الناس فيوضع في ميزان العالم الذي كان يعلم الناس العلم والخير.

أخرج ابن المبارك في الزهد عن حماد بن أبي سليمان قال: يجيء رجل يوم القيمة فيري عمله محضرًا، فيبينما هو كذلك إذا جاءه مثل السحاب حتى يقع في ميزانه فيقال له: هذا ما كنت تعلم الناس من الخير فورث بعده فجزيت فيه، وذكر ذلك في (الدر المنشور).

(١) رواه أحمد (٤٤٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ ٨٨): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مسلم برقم (٨٠٤)

هل توزن الأعمال لكل البشر مؤمنهم وعاصيهم وكافرهم؟؟

البشر في هذا الأمر ثلاث فئات أو طبقات غير الفئة المكرمة من الله سبحانه وهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ذكر: «أن الله يعطيه يوم القيمة أن يدخل من أمته الجنة بغير حساب سبعين ألفاً، ومع كل ألف - وفي رواية - ومع كل واحد سبعين ألفاً وثلاث حثيات من حثيات رب العالمين». ولما سُئل عنهم قال: «هم الذين لا يرقون ولا يستردون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتكلون»^(١).

قال أبو حامد الغزالى: الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفاً، وإنما هي براءات مكتوبة لا إله إلا الله محمد رسول الله هذه براءة فلان بن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً.

الطبقة الأولى:

متقون لا كبار لهم، وهؤلاء توضع حسناتهم في الكفة النيرة، وصغارهم إن كانت لهم في الكفة الأخرى، فلا يجعل الله سبحانه

(١) رواه مسلم برقم ٢١٦ - ٢١٨

لتلك الصغار وزناً، - لأن الله سبحانه كفرها عنهم - وتشغل الكفة النيرة حتى لا تبرح وترتفع المظلمة ارتفاع الخالي، فقد وعد رسول الله ﷺ أن الصغار تغفر إذا اجتنبت الكبائر كما روى البخاري في صحيحه: «الصلوات الخمس وال الجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر».

لذلك لا يكون لها وزن يوم القيمة، أي الصغار.

الطبقة الثانية:

مُخلطون حيث توضع حسناتهم في الكفة النيرة وسيئاتهم في الكفة المظلمة فيكون للكبائر ثقل، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصوابة دخل الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بصوابة دخل النار، إلا أن يغفر الله سبحانه وإن تساواها كان من أصحاب الأعراف على ما يأتي. هذا إن كانت الكبائر فيما بينه وبين الله، وأما إن كانت عليه تبعات، وكانت له حسنات كثيرة، فإنه ينقص من ثواب حسناته بقدر جزاء السيئات، لكثرة ما عليه من التبعات، فيحمل عليه من أوزار من ظلمه ثم يعذب على الجميع، هذا ما تقتضيه الأخبار على ما تقدم ويأتي.

وقال أحمد بن حرب: يبعث الناس يوم القيمة على ثلاثة فرق، فرقة أغنياء بالأعمال الصالحة، وفرقة فقراء، وفرقة أغنياء ثم يصيرون فقراء مفاليس في شأن التبعات.

وقال سفيان الثوري: «إنك إن تلقى الله عزّ وجلّ بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه، أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد».

قال المؤلف: هذا صحيح لأن الله غني كريم، وأبن آدم فقير مسكين، محتاج في ذلك اليوم إلى حسنة يدفع بها سيئة إن كانت عليه، حتى يشق ميزانه فيكتثر خيره وثوابه.

الطبقة الثالثة :

الكافر فإنه يوضع كفره في الكفة المظلمة ولا يوجد له حسنة توضع في الكفة الأخرى، فتبقى فارغة لفراغها وخلوها عن الخير، فيأمر الله بهم إلى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وأثامه.

وأما المتقون، فإن صغارهم تکفر باجتنابهم الكبائر، ويؤمر بهم إلى الجنة ويثاب كل واحد منهم بقدر حسناته وطاعته، فهذا الصنفان هما المذكوران في القرآن في آيات الوزن، لأن الله تعالى لم يذكر إلا من ثقلت موازينه بالخلود في الجنة ومن خفت موازينه بالخلود في النار بعد أن وصفه بالكفر، وبقي الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فيبيّنهم النبي ﷺ حسب ما ذكرنا.

وإنما توزن أعمال المتقى لإظهار فضله، كما توزن أعمال الكافر لخزيه وذله، فإن أعماله توزن تبكيتاً له على فراغه وخلوه من كل خير، فكذلك توزن أعمال المتقى تحسيناً لحاله وإشارة لخلوه من كل شر، وتزييناً لأمره على رؤوس الأشهاد. وأما المُخلط السيء بالصالح فإن دخل النار فيخرج بالشفاعة، على ما يأتي.

الوزن والميزان من المواطن الرهيبة يوم القيمة

إن موطن وزن الأعمال من المواطن الرهيبة بالنسبة ليوم القيمة
حيث ينسى فيه العبد أهله وأحبابه، وينشغل بنفسه ..

فما رأيك بموقف ينتظر فيه العبد نتيجة الوزن التي تكون سبباً
لسعادته سعادة خالدة، أو شقاء شقاء خالداً في نار جهنم، حقاً إنه
لموطن رهيب ترعد له الفرائص ويحل بالجسد والنفس خوفٌ يقطع
الأوصال ويخلع القلوب من أماكنها فتقف عند الحناجر.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا القاسم بن الفضل،
قال: قال الحسن: قالت عائشة: يا رسول الله، هل تذكرون أهليكم
يوم القيمة؟ قال: «أما في مواطن ثلاثة فلا: الكتاب، والميزان،
والصراط»^(١).

فاما قوله: «الكتاب» فيحتمل أن يكون المراد بذلك الصحف
حين تطير والناس بين آخر يمينه، وأخذ شماله.

كما قال البيهقي: حدثنا أبو حسن علي بن محمد بن علي
المقربي، أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحاق، حدثنا يوسف بن
يعقوب القاضي، حدثنا محمد بن منهال، حدثنا يزيد بن زريع،
حدثنا يونس بن عبيد، عن الحسن، أن عائشة بكت، فقال لها

(١) رواه أحمد (٦/١٠٠١).

رسول الله ﷺ : ما يبكيك يا عائشة؟ قالت: ذكرت النار فبكى: هل تذكرون أهليكم يوم القيمة؟ قال: «أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً، حيث يوضع الميزان؛ حتى يعلم أيثقل ميزانه أم يخف؟ وعند الكتاب حين يقال: هاؤم أقرؤوا كتابيه، حيث تطاير الصحف؛ حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أو في شماليه، أو من وراء ظهره، وحيث يوضع الصراط على جسر جهنم»^(١).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيمة؟ قال: «يا عائشة، أما عند ثلاثة فلا، أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا، وأما عند تطاير الكتب، فإما أن يعطى بيمينه أو يعطى بشماله فلا، ثم يخرج عنق فينطوي عليهم، ويغطي عليهم، ويقول ذلك العنق: وَكُلْتُ بِثَلَاثَةَ؛ بِمَنْ ادْعَى مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَكُلْتُ بِمَنْ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ، وَكُلْتُ بِرَجُلٍ جَبَارٍ عَنِيدٍ، قَالَ: فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ، وَيَرْمِي بِهِمْ فِي غَمَرَاتِ النَّارِ وَلِجَهَنَّمِ جَسَرٍ، أَدْقَ من الشَّعْرِ، وَأَحَدَ من السَّيفِ، عَلَيْهِ كَلَالِيبُ، وَحَسَكٌ، يَأْخُذُنَّ مِنْ شَاءَ اللَّهَ، وَالنَّاسُ عَلَيْهِ كَالْطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيَاحِ، وَكَأْجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرَّكَابِ، وَالْمَلَائِكَةُ يَقُولُونَ: رَبِّ سَلَمَ، رَبِّ سَلَمَ، فَنَاجَ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشَ مُسَلَّمٌ، وَمَكْوَرَ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ».

[رواه الإمام أحمد (٦١١٠) مجمع الزوائد (٥٩١٠)]

- ولما كان الميزان من المواطن الرهيبة فإن رسول الله ﷺ يحضر عند وزن الأعمال ليشفع لأمته.

وتقدّم من رواية حرب بن ميمون، عن النضر بن أنس، عن أنس رضي الله عنه، أنه قال: اشفع لي يا رسول الله، قال: «أنا

(١) رواه البيهقي في البدر السافرة صفحة (٢٣١) والحاكم في المستدرك (٤٥٧٨) وقال: حديث صحيح إسناده على شرط الشيفيين ووافقه الذهبي.

فاعل» ، قال فأين أطلبك؟ قال: «اطلبني أول ما تطلبني عند الصراط» ، قال: فإن لم ألقك؟ قال: «فعند الحوض» ، قال: فإن لم ألقك؟ قال: «فعند الميزان، فإني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن يوم القيمة»^(١) . وفي التاج: الصراط ثم الميزان وأخيراً الحوض.

كذلك فقد روى أبو داود والترمذى عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبار من أمتي»^(٢) .

فإن الله سبحانه يخصه بالشفاعة ويقبل منه الشفاعة لأمته، وهذا من واقع رحمة الله سبحانه بأمة محمد ﷺ وواقع حب الحبيب المصطفى ﷺ.

- البشري لمن بشر بثقل ميزانه: ﴿فَامَّا مَنْ ثُقِلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَامَّا مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَامْمَاهُ كَاوِيَةٌ﴾.

- عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ، قال: «يؤتى بابن آدم يوم القيمة، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خفت ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً»^(٣) .

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا مالك بن مغول، عن عبيد الله ابن العizar قال: «عند الميزان ملك إذا وزن العبد نادى: ألا إن فلان بن فلان ثقلت موازينه، وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، ألا إن فلان بن فلان خفت موازينه، وشقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً»^(٤) .

(١) رواه الترمذى، كتاب صفة القيمة رقم الحديث رقم ٢٤٣٣.

(٢) رواه الترمذى رقم الحديث رقم ٣٤٣٥.

(٣) رواه البيهقى: (البدور السافرة) صفحة ٢٣٠، والديلمى في الفردوس: (٨٧٦٢)، وأبو نعيم في الحلية (١٧٤/٦).

(٤) جزء من حديث ابن المبارك في زيادات الزهد (١١٠).

الرجل الذي تنقصه حسنة واحدة عند وزن أعماله لينجو من النار:

قال سعيد بن جبير وهو يحدث عن ابن مسعود: قال: يحاسب الناس يوم القيمة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار - ثم قال: ﴿فَمَنْ ثَقِلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنفُسَهُمْ﴾.

[سورة المؤمنون: الآيات: ١٠٢ ، ١٠٣]

ثم قال: إن الميزان يخفُ بمثقال حبة أو يرجع^(١).

وقال القرطبي: من ثقلت حسناته على سيئاته ولو بصرامة أو صوابه دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أثقل ولو بصرامة أو بصوابه دخل النار، إلا أن يعفو الله، وروى مثل هذا ابن مسعود رضي الله عنه. الصراية = الحنطة إذا اصفرت.

قلت: يشهد لهذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ يُضَعِّفُهَا وَيُؤْتَ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٤٠]

لكن ما الحكم فيمن ثقلت حسناته على سيئاته بحسنة أو بحسنات؟ هل يدخل الجنة، ويرتفع في درجاتها بجميع حسناته، وتكون قد أحبطت السيئات التي قابلتها؟ أو يدخلها بما بقي له من الحسنات الراجحة على السيئات، وتكون السيئات قد أسقطت ما وازنها من الحسنات؟

- لقد أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره سورة عبس رقم الآية

٣٧ - هذا الحديث، وقال: الحديث عن عكرمة موقف:

(١) رواه ابن المبارك في زيادات الزهد (٤١١).

يُروى : أنه توزن أعمال العبد فتنقصه حسنة واحدة حتى يشتمل ميزان حسناته ، فيقول الله تعالى له : يا عبدي ، انظر في المحشر لعلك تجد من يعطيك حسنة . فيذهب ويأتي إلى أخيه فيقول : يا أخي أنت أخي وابن أمي وأبي ، ولقد نقصت حسناتي حسنة واحدة حتى ترجم ، أعطني حسنة أثقل بها حسناتي ، فيقول له أخوه : إني أخشى مما تخشى منه أنت فلا أعطيك ، فيتركه ويمضي . ثم يأتي أمه فيقول : يا أمي أنت أمي وأشفق الناس على في الدنيا ، ولقد احتجت إلى حسنة واحدة أثقل بها كفة حسناتي لأنجوأ أعطيني حسنة واحدة ، فتقول : إني أخشى مما تخشى منه أنت فلا أعطيك ، فتركته ومضى . فيأتي أبيه فيقول : يا أبي أنت أبي ولقد احتجت إلى حسنة واحدة أثقل بها كفة حسناتي لعلي أنجو ، أعطني حسنة واحدة فيقول : إني أخشى مما تخشى منه أنت فلا أعطيك . ثم يذهب إلى زوجته فيقول : يا زوجتي لقد أمضيت معك عمراً وشقيت من أجلك ، ولقد نقصني حسنة واحدة لأنقل بها كفة حسناتي لعلي أنجو ألا تعطيني حسنة واحدة ؟ فتقول : إني أخشى مما تخشى منه أنت فلا أعطيك . ثم يذهب إلى ولده فيقول : يا ولدي أنت ولدي ولقد شقيت من أجلك لتسعد وتعبر لستريح ، ولقد نقصني حسنة واحدة لأنقل بها كفة حسناتي ألا تعطيني حسنة واحدة حتى أنجو ؟ فيقول : إني أخشى مما تخشى منه أنت ، فلا أعطيك ، فيتركه ويمضي .

ثم يرجع إلى ربه خائفاً وجلاً ، حيث لم يأت بحسنة ، وهؤلاء هم أهله وأقرب الناس صلة به لم يعطوه ، فيقول : يا رب قد طلبت من أخي ، وأمي ، وأبي ، وزوجتي ، وولدي فلم يعطني أحد منهم حسنة واحدة .

فيقول الله تعالى له: أنا أرحم بك منهم. خذوه يا ملائكتي إلى الجنة^(١).

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُغْرِيُ الرَّبُّ مِنْ أَخْدُوْهُ وَأُمَّهُ وَأَبِيهِ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ أَمْرٍ يُؤْمِنُهُمْ يَوْمَ إِذْ شَاءُ يُعَذِّبُهُمْ﴾.

[سورة عبس، الآيات: ٣٤ - ٣٧]

(١) أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره عند تفسيره لسورة عبس رقم الآية ٣٣ - ٣٧ وقال: الحديث عن عكرمة موقوف.

الفصل الثالث

استلام الصحف (تطاير الصحف)

- مدخل .
- هل استلام الصحف قبل الحساب أم بعد الحساب؟؟
- أهل الأعراف .
- من هم أهل الأعراف .
- أهل الأعراف هم من تساوت حسناتهم مع سيئاتهم .
- وفي مختصر تفسير ابن كثير يقول عن أهل الأعراف .
 - حشر الكفار إلى النار .
- ليس للكفار عبور على الصراط إنما يسحبون على وجوههم إلى النار .
- حشر الكفار إلى النار بعد فصل الحساب غير حشر الدنيا والحشر على أرض الدنيا .
- الندم الذي يعتصر نفوس الكافرين عندما يصبحون على أبواب جهنم ويقفون عليها .
- كل أمة كافرة ومشركة عند حشرهم إلى نار جهنم تتبع ما كانت تعبد وتوسله .

استلام الصحف (تطاير الصحف)

مدخل :

.. إن في توقيت استلام الصحف أو تطايرها حتى يستلم كل أمرئ صحفته، إما بيمينه أو بشماله أو من وراء ظهره، بعض الإشكال في التفسير حول موضوع قراءة الصحيفة أو استلام الصحيفة.. ويبقى السؤال:

- هل الكتب التي نأخذها لنقرأها ونجد فيها أعمالنا هي نفسها الصحف التي يتم استلامها بعد الميزان؟

أم هذا كتاب كما في قوله تعالى: ﴿أَقْرَأَ كِتَابَ كُفَّيْ بِتَقْسِيكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾؟ وهذه صحيفة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحْفُ شُرِّطَ﴾.

وعليه نقول:

.... الكتاب الأول: هو الكتاب الذي يخرجه الله سبحانه لعبدة يوم القيمة ليقرأ ما فيه من أعماله سواء أكانت حسنات أم سيئات، طاعات أم معاصي.. فيقرأ ويحاسب الإنسان نفسه قبل أن يحاسبه الله رب العالمين، وذلك عند العرض على الله قبل الحساب وقبل الوزن.

فالمرء عندما يخرج الله سبحانه له كتابه ليقرأه فإنه يقرأ ويتحقق فيه بتؤدة ويقرأ كباره، وصغاره، وصغار صغاره، وهذا

يحتاج إلى تأنٌ وقراءة وتمعن ليقرأ كامل عمله الذي يمتد إلى سنوات عمره كلها.

يقول تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَبُ فَقَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشَفِّقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوْلَدَنَا مَا لَنَا هَذَا الْكِتَبُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كِبِيرَةً إِلَّا أَحْصَنَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

فهؤلاء يصطرون ويتعجبون من هذا الكتاب الذي لا يغادر صغيرة من أعمالهم إلا وقد سطرت فيه، ووجدوا ما عملوا حاضراً، ألم يقل الله سبحانه في محكم كتابه:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾؟

[سورة الزلزلة، الآيات: ٧، ٨]

فسيري العبد مثقال الذرة مسطوراً في صحفته، وأخص أولئك الذين أجرموا وكفروا في حياتهم الدنيا وأصحاب المعاصي والكبار، أما المؤمن فإن الله سبحانه يغفر له صغائره طالما اجتنب الكبار في الحياة الدنيا.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا لَمَّا إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُوْرَةً﴾.

[سورة النجم، الآية: ٣٢]

ويقول تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٢٢]

ولقد وعد الله سبحانه أنه سيخرج لكل عبد كتابه ليقرأه فيحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله سبحانه .. يقرأ حتى لا يقول: إن الله سبحانه ظلمه أو إن الكتبة الحافظين ظلموا.

يقول تعالى: «وَكُلَّ إِنْسَنٍ أَلْزَمْنَاهُ طَهِيرًا فِي عُنْقِهِ، وَتَخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَبًا يَلْقَأُهُ مَنْشُورًا * أَفَرَأَيْتَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا».

[سورة الإسراء، الآيات: ١٣ ، ١٤]

كل هذا والعلم عند الله سبحانه يكون في بداية العرض على الله بعد أن يأذن الله سبحانه بشفاعة سيدنا محمد ﷺ بالعرض عليه وحساب الخلاق.

.. وفي هذه الحال يعرف الإنسان كل ذنبه ويذكرها جميعاً بعد قراءة متأنية ومستمرة لكتاب أعماله بعد ذلك تتم عملية التصفية ورد الحقوق وأخذ الحقوق .. فيؤخذ من صحيفة فلان حسنات ويؤخذ من صحيفة فلان سيئات، كل حسب ما قدم وأذنب وظلم عباد الله سبحانه، فالحقوق يجب أن ترد إلى أصحابها .. فإذا ما تمت التصفية بعد العرض والحساب كما قدمنا عن ذلك في الجزء السابع بشكل بين واضح ومفصل .. توزن الأعمال، وبعد التصفية تبقى في صحيفة العبد الحسنات والسيئات فتوضع الحسنات في كفة يقابلها السيئات في كفة ويتم الوزن، فمن زادت حسناته على سيئاته ولو بحسنة واحدة أخذ صحيحته بيمنيه، ومن تساوت حسناته مع سيئاته كان من أصحاب الأعراف الذين سنذكرهم في الفقرة التالية، ومن زادت سيئاته على حسناته ولو بسيئة واحدة كان من أصحاب النار يعذبه الله سبحانه بقدر ذنبه إلا أن يعفو الله تعالى .. ثم يعطى صحيفة أعماله في شماله.

.. وأما الكفار كما تقدم فتوزن أعمالهم التي فيها شيء من الخير مع كفرهم، فلا يكون لها وزن وترتفع كفة السيئات التي يوضع بها كفرهم وجرائمهم لأن أعمالهم التي فيها شيء من الخير يوفونها في الدنيا.

يقول تعالى: ﴿وَقَدْمَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُرًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٢٣]

وبعد أن يتم الوزن تطير الصحف فأخذ بيمنيه وأخذ بشماله وأخذ من وراء ظهره.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّفُفُ شُرِّطَ﴾.

[سورة التكوير، الآية: ١٠]

ويقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُولَئِكَ بِكُنْبُهِ يَمِينِهِ فَيَقُولُ هَامُ أَفْرُوا كِتْبَتِهِ * إِنِّي طَلَبْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسَابِيَّةٌ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَّةٍ﴾.

[سورة الحاقة، الآيات: ١٩ - ٢٢]

ويقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُولَئِكَ بِكُنْبُهِ يَشْمَالِهِ فَيَقُولُ يَلِيَتِنِي لَمْ أُولَئِكَ كِتْبَتِهِ * وَلَرَأَدِرِي مَا حَسَابِيَّةٌ * يَلِيَتِهَا كَانَتْ الْفَاضِيَّةَ﴾.

[سورة الحاقة، الآيات: ٢٥ - ٢٧]

ولكن السؤال يبقى أن الله سبحانه بين في سورة الانشقاق أن من يؤتى كتابه بيمنيه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ..

يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُولَئِكَ بِكُنْبُهِ يَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حَسَابًا يَسِيرًا * وَيَنَقِلُبُ إِلَيْهِ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُولَئِكَ بِكُنْبُهِ وَرَاءَهُ ظَهْرُهُ * فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾.

[سورة الانشقاق، الآيات: ٧ - ١٢]

فالمعنى أن الإنسان يؤتى كتابه أولاً ثم يحاسب فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً.. فالآية تشير إلى استلام الكتب أولاً ثم الحساب.

هل استلام الصحف قبل الحساب أم بعد الحساب؟؟

ولنقرأ في تفسير المفسرين حول هذه الآيات ثم نبين ما التبس حول استلام الصحف قبل الحساب أم بعد الحساب أم هناك استلامان الأول للكتاب الذي يقرأ فيه العبد أعماله، ثم بعد الوزن تطير الصحف فأخذ بيمينه وآخذ بشماله.. أم هناك كتب.. وهناك صحف لما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّفُفُ شُرِّطَتْ﴾.

[سورة التكوير، الآية: ١٠]

لنقرأ في كتب المفسرين أولاً.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير: في تفسير الآيات من سورة الانشقاق ٧ - ١٢ : إن الله تعالى ذكر انقسام الناس إلى سعداء وأشقياء وإلى من يأخذ كتابه بيمينه ومن يأخذ كتابه بشماله فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُولَئِكَ نَبَّأْتُهُ بِيمِينِهِ﴾ أي فأمّا من أعطي كتاب أعماله بيمينه، وهذه عالمة السعادة ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ أي فسوف يكون حسابه سهلاً هنياً، يجازى على حسناته ويتجاوز عن سيئاته، (وهذا هو العرض) كما جاء في الحديث الصحيح في المراد بالحساب اليسير (العرض) لما روي عن النبي ﷺ قال: «من ححسب عذب» فقالت عائشة: أو ليس الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ فقال ﷺ: «إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب».

[رواوه البخاري ومسلم]

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يدّني العبد يوم

القيامة، حتى يضع كنفه عليه، فيقول له: فعلت كذا وكذا - ويعدّ عليه ذنبه - ثم يقول له: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فهذا هو المراد من الحساب اليسير»^(١).

.... وفي تفسير ابن كثير نفس البيان والتفصيل ..

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوقِّتَ كِتَابَهُ بِيمِينِهِ فَسَوْقٌ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾.

أي سهلاً بلا تعسir أي لا يتحقق عليه جميع دقائق أعماله فإنه من حوسب هلك لا محالة.. وفي رواية عن عائشة قالت: «من نوتش الحساب - أو من حوسب - عذب - ثم قالت: إنما الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يراهم»^(٢).

وأما في تفسير قوله تعالى: «إِذَا الْكُحُفُ شُرِّتْ».

يقول الصابوني في صفوة التفاسير: «إِذَا الْكُحُفُ شُرِّتْ»: أي إذا صحف الأعمال نشرت وبسطت عند الحساب.

ويقول ابن كثير في تفسيره: «إِذَا الْكُحُفُ شُرِّتْ».

قال الضحاك: أعطي كل إنسان صحيفته بيمنيه أو بشماله، وقال قتادة: يا ابن آدم ت ملي فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيمة فلينظر الرجل ماذا ي ملي في صحيفته.

- عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ:

«يعرض الناس يوم القيمة ثلاث عَرَضَاتٍ، فأما عَرْضَانِ فِجْدَالٍ وَمَعَاذِيرٍ، وأما الثالثة فَعِنْهَا تَطْيِيرُ الصُّحُفِ فِي الْأَيْدِي فَآخْذُ بِيْمِينِهِ وَآخْذُ بِشَمَالِهِ»^(٣).

(١) تفسير الصابوني صفحة ١٦٦٣.

(٢) تفسير ابن كثير - المختصر الجزء ٣ صفحة ٦١٩.

(٣) رواه أحمد (٤١٤) وابن ماجه (٤٢٧٧) والترمذى ٢٤٢٥ في صفة القيمة.

فمن حديث رسول الله ﷺ يتبيّن لنا أن هنالك ثلاث عرضات، الأولى والثانية جدال ومعاذير وذلك لا يكون إلا عند الحساب والعرض على الله سبحانه، فإذا ما انتهى الجدال والمعاذير تطايرت الصحف فآخذ بيديه وأأخذ بشماله ..

خلاصة القول والله أعلم: إن الكتاب الذي يخرجه الله سبحانه للعباد ليقرؤوا أعمالهم عند العرض عليه غير تطاير الصحف بعد الحساب وليس في هذا جزم، ولكن ربما يكون هو الأصح وأعود فأقول: والله أعلم.

أهل الأعراف

من هم أهل الأعراف؟؟

أهل الأعراف هم الذين تساوت سيئاتهم مع حسناتهم، وقد ذكرهم الله سبحانه في كتابه الكريم.

يقول تعالى : « وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةَ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهُلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدْ رَبِّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَإِذَا مُؤْمِنٌ بِيَنْهُمْ أَنْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْعُدُنَا عَوْجًا وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَفِرُونَ * وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ يَرْجَلُ يَعْرِفُونَ كُلًا إِيمَانَهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةَ أَنْ سَلَمْ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صَرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ نِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا بَيْنَا لَا تَجْعَلُنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ إِيمَانَهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُو وَمَا كُشِّمْتَ تَسْتَكْرُونَ * أَهْوَلَاءِ الَّذِينَ أَفْسَمْتُمْ لَا يَسْأَلُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةِ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزُنُونَ * وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةَ أَنْ أَفْضُلُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَوْ مَا رَزَقْنَاكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ أَتَخَذُوا دِينَهُمْ لَهُمْ وَلَعْنَاهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا * فَاللَّيْلَمَ نَسْكُهُمْ كَمَا نَسْوَاهُ لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِيَابِسِنَا يَمْحَدُونَ ». ﴿ يَمْحَدُونَ ﴾

[سورة الأعراف ، الآيات : ٤٤ - ٥١]

فالله سبحانه يقول : « وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ يَرْجَلُ يَعْرِفُونَ كُلًا إِيمَانَهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةَ أَنْ سَلَمْ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ». ﴿ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةَ أَنْ سَلَمْ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾

فالله سبحانه يخبر عن السور وهو الحجاب الحاجز بين أهل

الجنة وأهل النار، وعن الذين هم على مشارفه وأعراقه، فيقول سبحانه: ﴿وَيَنْهَا حَاجَبٌ﴾ أي بين الجنة والنار حجاب وهو السور الذي قال تعالى فيه: ﴿فَضَرِبَ لِيَهُمْ سُورٌ لَّهُ بَابٌ بِاطْنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ﴾ . قال ابن عباس وغيره: أعراف السور هي شرفه: أي أعلى المشرفة.

قال العلامة القرطبي في تفسيره: والأعراف في اللغة المكان المشرف جمع عُرْفٍ، قال يحيى بن آدم: سألت الكسائي عن واحد الأعراف فسكت، فقلت له: حدثنا إسرائيل عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال:

الأعراف سور له عرف كعرف الديك فقال: نعم والله واحد، يعني وجماعته أعراف.

وقد تكلّم العلماء في بيان أصحاب الأعراف على عشرة أقوال بل أكثر. والذي ذهب إليه جمهور كثير من الصحابة والتابعين هو أنهم طائفة من الموحدين قصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، وذلك بأن استوت حسناتهم وسيئاتهم.

واستدلوا على ذلك بما رواه البيهقي عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يجمع الناس يوم القيمة فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة، ويؤمر بأهل النار إلى النار، ثم يقال لأصحاب الأعراف: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر أمرك، فيقال لهم: إن حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم فادخلوا الجنة بمغفرتي ورحمتي»^(١).

ولقد تعددت الآراء في تعين أصحاب الأعراف وأرجح الأقوال

(١) رواه البيهقي - وروى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر وأبو الشيخ نحوه كما جاء في الدر المثور وغيره.

ما قاله القرطبي : «إنهم قوم استوت حسناهم وسيئاتهم فيقومون مدة على الأعراف ثم يؤمر بهم إلى الجنة» .

قال العلامة الألوسي : وجمع بعضهم - أي بعض العلماء المحققين - بأنه يجوز أن يجلس الجميع ممن ورد فيهم أنهم أصحاب الأعراف - هناك مع تفاوت مراتبهم .

قال عبد الله : وهذا القول بالجمع مبني على أن الأعراف جمع عُرف ، فهناك عدة شرفات مرتفعة ، وأماكن عالية مطلعة وعلى كل واحدة منها قوم من الذين ورد فيهم أنهم أصحاب الأعراف ، ولكنهم على مراتب متعددة متفاوتة ، ولكل مرتبة أحكامها وخصائصها ، والله تعالى أعلم بحقيقة ما هنالك .

قال تعالى : ﴿وَبِئْسَ لِهَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ يَرْجَأُونَ كُلًاً إِسْمَاهُمْ﴾ .

أي يعرفون كلاً من أصحاب الجنة وأصحاب النار بعلامتهم التي خصّهم الله تعالى بها وميزهم عن غيرهم بها ، وهي بياض الوجه وحسنها ونضارتها في أهل الجنة ، وسود الوجه وقبحها وظلمتها في أهل النار ، إلى غير ذلك من معرفة حيث هؤلاء وحيث هؤلاء ، وقواد هؤلاء إلى الجنة وقواد هؤلاء إلى النار .

﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةَ أَن سَلَّمَ عَلَيْكُم﴾ أي نادى رجال الأعراف أصحاب الجنة حين رأوهـم وعرفـهم : أن سلامـ عليـكم - على طريق الدعاء والتحية لهم أو على طريق الإخبار بنجاتـهم من العقوبات والمـكارـهـ .

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَظْمَعُونَ﴾ وقد ذكر كثير من علماء التفسير أن جملة لم يدخلوها حالـ من فاعـلـ نادـوا أو من مفعـولـهـ . فـتـدـبـرـ الآيةـ تـعـقـلـ المعنىـ .

وقال بعض العلماء المحققين : (الأعراف) سور بين الجنة والنار

باطنه فيه الرحمة وهو ما يلي الجنة منه، وظاهره من قبله العذاب وهو ما يلي النار، منه يكون عليه من تساوت كفتا ميزانه فهم ينظرون إلى النار وينظرون إلى الجنة، وما لهم رجحان بما يدخلهم أحد الدارين. فإذا دعوا إلى السجود وهو الذي يبقى يوم القيمة من التكليف فيسجدون فيرجح ميزان حسناتهم فيدخلون الجنة. وقد كانوا ينظرون إلى النار بما لهم من السيئات، وينظرون إلى الجنة بما لهم من الحسنات ويرون رحمة الله فيطمعون، أي في كرم الله تعالى ورحمته.

وقد تلا الحسن البصري رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

فقال: والله ما جعل الله تعالى ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم سبحانه.

وروى الإمام أحمد في الزهد عن قتادة أن سالماً مولى أبي حذيفة رضي الله عنه كان يقول: وددت أني بمنزلة أصحاب الأعراف، أي من الذين لم تغلب سيئاتهم حسناتهم بل استوت حسناتهم وسيئاتهم حتى تشمله مغفرة الله تعالى ورحمته، ويتحقق الله تعالى له ما يطمع فيه وهو دخول الجنة.

أهل الأعراف هم من تساوت حسناتهم مع سيئاتهم:

.. فكما أن من عباد الله من تتجاوز حسناتهم سيئاتهم وعلى درجات كبيرة وكثيرة جداً، كذلك فإن من عباد الله سبحانه من تتجاوز سيئاتهم حسناتهم وهم على درجات كبيرة وكثيرة جداً. كذلك وإن من مليارات البشر المجتمعة يوم القيمة عند الله سبحانه، أعداداً كثيرة تتساوى حسناتهم مع سيئاتهم، ولذلك حتى نتجنب مثل هذا الموقف

العصيب والأليم بذات الوقت فنحن بأمس الحاجة إلى حسنة واحدة زيادة لنا حتى لا نكون من أهل الأعراف، ونقف محبوسين على القنطرة بين الجنة والنار، وقد رأينا كيف أن أصحاب الجنة دخلوها وأخذوا أماكنهم ونالوا حفاوة الاستقبال والتكريم من الله سبحانه وَمَنْ الْمَلَائِكَةُ، ونحن بحالة حبس لا نعلم متى يعفو الله سبحانه عنا ويأمر بنا إلى الجنة.

- وفي تفسير الصابوني (صفوة التفاسير) يقول عن أهل الأعراف كما جاء في القرآن الكريم :

﴿وَيَنْهَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ يَجَالُ يَعْرِفُونَ كُلًاً يُسَمِّهِمْ﴾ أي بين الفريقين حجاب وهو السور الذي ذكره بقوله: ﴿فَضَرِبَ يَنْهَا سُورٌ لَمْ يَأْبِ﴾ يمنع وصول أهل النار للجنة، وعلى هذا السور رجال يعرفون كلًاً من أهل الجنة وأهل النار بسمائهم أي بعلامتهم التي ميزهم الله بها، قال قتادة: يعرفون أهل النار بسود وجههم وأهل الجنة ببياض وجههم ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةَ أَنْ سَلَّمُ عَلَيْكُمْ﴾ أي ونادي أصحاب الأعراف أهل الجنة حين رأوهم أن سلام عليكم أي قالوا لهم: سلام عليكم، قال تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَئِنُونَ﴾ أي لم يدخل أصحاب الأعراف الجنة وهم يطمئنون فيدخولها، ﴿وَإِذَا صَرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ لِلقاءِ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا إِنَّا لَمَّا جَعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قال المفسرون: أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فليسوا من أهل الجنة ولا من أهل النار، يحبسون هناك على السور حتى يقضى الله فيهم، فإذا نظروا إلى أهل الجنة سلموا عليهم، وإذا نظروا إلى أهل النار ﴿قَالُوا إِنَّا لَمَّا جَعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، فسألوا الله ألا يجعلهم معهم، قال أبو حيان: وفي التعبير بقوله: ﴿صَرِفَتْ﴾ دليل على أن أكثر أحوالهم النظر إلى أهل الجنة وأن نظرهم إلى أصحاب النار ليس من قبلهم بل هم محمولون عليه، والمعنى

أنهم إذا حملوا على صرف أبصارهم ورأوا ما عليه أهل النار من العذاب استغاثوا بربهم من أن يجعلهم معهم.

﴿ وَنَادَىٰ أَحَبَّ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعِرُّونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ أي من أهل النار وهم رؤساء الكفرة ﴿ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي أي شيء نفعكم جمعكم للمال واستكباركم عن الإيمان؟ والاستفهام للتوبيخ ﴿ أَهَتُلَاءُ الَّذِينَ أَفْسَدُمُ لَا يَنْأَلُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ أي أهؤلاء المؤمنون الضعفاء الذين كنتم في الدنيا تسخرون منهم وتحلفون أن الله لا يدخلهم الجنة، والاستفهام استفهام تقرير وتوبيخ وشماتة، يوبخونهم بذلك ﴿ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَخْزُنُونَ ﴾ أي يقولون للمؤمنين: ادخلوا الجنة رغم أنوف الكافرين، قال الألوسي: هذا من كلام أصحاب الأعراف يقولون لأهل الجنة المشار إليهم: دوموا في الجنة غير خائفين ولا محظوظين على أكمل سرور وأتم كرامة.

وفي مختصر تفسير ابن كثير يقول عن أهل الأعراف:

كما جاء في القرآن الكريم:

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعِرُّونَ كُلًا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَحَبَّ الْجَنَّةَ أَنْ سَلَمَ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَئِنُونَ ﴾ ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ تِلْقَاءَ أَحَبَّ النَّارِ قَالُوا يَنْأَلُ لَا تَجْعَلُنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآيات: ٤٦ ، ٤٧]

.... لما ذكر تعالى مخاطبة أهل النار، نبه أن بين الجنة والنار حجاباً وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة، قال ابن حجرير: وهو السور الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ فَضَرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ ﴾ وهو الأعراف الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ ثم روى بإسناده عن السدي أنه قال في قوله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ هو السور

وهو الأعراف، وقال مجاهد: الأعراف حجاب بين الجنة والنار، سور له باب. قال ابن جرير: والأعراف جمع عُرف، وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفاً، وإنما قيل لعرف الديك عرفاً لارتفاعه. وعن ابن عباس: هو سور بين الجنة والنار، وقال السدي: إنما سمي الأعراف أعرافاً لأن أصحابه يعرفون الناس، واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم قوم استوت حسناته وسعيّاتهم^(١). وقد جاء في حديث مرفوع رواه الحافظ ابن مardonيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عنمن استوت حسناته وسعيّاته، فقال: «أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون». وقال ابن جرير عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف، فقال: هم قوم استوت حسناته وسعيّاتهم، فقعدت بهم سعيّاتهم عن الجنة، وخلفت بهم حسناته عن النار. قال: فوقفوا هناك على السور حتى يقضي الله فيهم.

وعن ابن مسعود قال: يحاسب الناس يوم القيمة، فمن كانت حسناته أكثر من سعيّاته بوحدة دخل الجنة، ومن كانت سعيّاته أكثر من حسناته بوحدة دخل النار، ثمقرأ قول الله: ﴿فَمَنْ تَقْلَى مَوَازِينُهُ﴾ الآيتين، ثم قال:

الميزان يخفّ بمثقال حبة، ويرجح، قال: ومن استوت حسناته وسعيّاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الصراع ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا: سلام عليكم، وإذا صرفت أبصارهم إلى يسارهم ونظروا أهل النار ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ

(١) قال بذلك حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف.

الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ ﴿تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ﴾، قال: فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويعطى كل عبد يومئذ نوراً، وكل أمة نوراً فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافق، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا: ﴿رَبَّنَا أَتَيْمَ لَنَا نُورَنَا﴾ وأما أصحاب الأعراف فإن النور كان بأيديهم فلم ينزع، فهنا لك يقول الله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ فكان الطمع دخولاً، قال: فقال ابن مسعود: إن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشراء، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة، ثم يقول: هلك من غلت آحاده عشراته^(١)، وسئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف؟ قال: «هم آخر من يفصل بينهم من العباد، فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد، قال: أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار، ولم تدخلوا الجنة، فأنتم عتقائي، فارعوا من الجنة حيث شئتم»^(٢).

وقد حكى القرطبي وغيره فيهم اثنى عشر قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًا إِسْيَاهُمْ﴾، قال ابن عباس: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجه، وأهل النار بسود الوجه، وقال العوفي عن ابن عباس: أنزلهم الله بذلك المنزلة ليعرفوا من في الجنة والنار، ليعرفوا أهل النار بسود الوجه، ويتعوذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين، وهم في ذلك يحيون أهل الجنة بالسلام لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها، وهم داخلوها إن شاء الله تعالى، وقال الحسن: إنه تلا هذه الآية: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ قال: والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم، وقال قتادة: قد أربأكم الله بمكانتهم من الطمع، قوله: ﴿وَإِذَا صُرِفْتُمْ يَلْقَاءُ أَحْسَنَ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ

(١) رواه ابن جرير عن ابن مسعود موقفاً.

(٢) قال ابن كثير: هذا مرسل حسن.

الظالمين》. قال الضحاك عن ابن عباس: إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم «قالوا ربنا لا يجعلنا مع القبور الظالمين». وقال السدي: وإذا مرروا بهم يعني أصحاب الجنة ذهب ذلك عنهم، «قالوا ربنا لا يجعلنا مع القبور الظالمين». وقال عكرمة: تحدد وجوههم للنار، فإذا رأوا أصحاب الجنة ذهب ذلك عنهم، وقال ابن أسلم في قوله: «وإذا صرقت أبصরهم لقاءً أحبب النار» فرأوا وجوههم مسودة وأعينهم مزرقة «قالوا ربنا لا يجعلنا مع القبور الظالمين».

«ونادى أحبب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماتهم قالوا ما أغننكم جمعكم وما كنتم تستكرون * أهؤلاء الذين أفسستم لا ينالهم الله برحمته أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا آنسكم تحزنون».

يقول الله تعالى إخباراً عن تقرير أهل الأعراف لرجال من صناديد المشركين وقادتهم، يعرفونهم في النار بسيماتهم «ما أغننكم جمعكم»؛ أي كثركم، «وما كنتم تستكرون»، أي لا تنفعكم كثركم ولا جموعكم من عذاب الله بل صرتم إلى ما أنتم فيه من العذاب والنkal، «أهؤلاء الذين أفسستم لا ينالهم الله برحمته» قال ابن عباس: يعني أصحاب الأعراف «أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا آنسكم تحزنون»، وقال ابن جرير عن ابن عباس: «قالوا ما أغننكم جمعكم» الآية، قال: فلما قالوا لهم الذي قضى الله أن يقولوا يعني أصحاب الأعراف لأهل الجنة وأهل النار، قال الله لأهل الكبر والأموال: «أهؤلاء الذين أفسستم لا ينالهم الله برحمته أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا آنسكم تحزنون».

... اللهم اجعلنا من أهل جناتك الذين تتجاوز عن سيئاتهم في مقعد الصدق الأمين، ولا تجعلنا من أهل النار ولا من أهل الأعراف بل تزيد لنا في حسناتنا حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا.

حشر الكفار إلى النار

حشر الكفار إلى النار :

إذا ما انتهى فصل القضاء والحساب وزنت أعمال العباد وتطايرت الصحف، فأخذ باليمين وأخذ بالشمال وأخذ وراء ظهره، أمر الله سبحانه بالصراط فيضرب على ظهراني جهنم ليعبر عليه المؤمنون والعصاة من أمة محمد ﷺ والمنافقون من أمة محمد ﷺ.

... فالصراط هو (جسر) يضرب على ظهراني جهنم لا يعلم طوله إلا الله سبحانه وتعالى .. وقد وصفه رسول الله ﷺ بأنه (دحْض مَذْلَّة) عليه خطاطيف وكلاليب وحسك .

ليس للكفار عبور على الصراط إنما يسحبون على وجوههم إلى النار :
 أما أهل الشرك والكفر فلا عبور لهم على الصراط ، إذ يحشرون وما يعبدون إلى جهنم ويُلقون فيها أمماً أمماً هم وما كانوا يعبدون .

يقول تعالى : « وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمْ وَلِئَلَّمْ يَعْلَمُوا إِذَا أَقْرَأُوا فِيهَا سَعِيًّا شَرِيقًا وَهِيَ تَفُورُ » تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلُّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَالَمُهُمْ حَزَنَتْهَا اللَّهُ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبُنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَيْرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ». [٦ - ١١] [سورة الملك ، الآيات]

فهم يلقون في جهنم كما جاء في الآية الكريمة إلقاء فيه المهانة والذلة، فليس في الإلقاء احترام بل مهانة وذلة.. والإلقاء لا يكون فردياً بل يكون بصورة جماعية مهينة.. يلقون أمماً أمماً.

يقول تعالى : ﴿ قَالَ أَذْخُلُوا فِي أَسْرِي فَدَخَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلُّمَا دَخَلْتُ أُمَّةً لَعَنَتْ أَخْنَمًا حَقَّ إِذَا أَدَارَكُوكُمْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِهِمْ لِأُولَئِنَّمْ رَبَّنَا هَذُولَاءِ أَضْلَوْنَا فَعَاتَهُمْ عَذَابًا ضَعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضَعْفٍ وَلِكُلِّ كَثْرَةٍ لَا يَعْلَمُونَ * وَقَالَ أُولَئِنَّمْ لِأَخْرِهِمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كَثُرَ تَكْسِبُونَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآيات: ٣٨، ٣٩]

وفي هذا الموطن بالذات، يأمر الله سبحانه بهم فيسحبون إلى النار على وجوههم وهم ينهرون نهراً غليظاً.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٣٤]

.. فإذا سحبوا فإنهم يساقون إلى جهنم كما يسوق الراعي
الهائم من القر والغنم، وهو موقف وموطن ملئ بالذلة والمهانة.

يقول تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمْ زُمَرًا﴾.

[سورة الزمر ، الآية : ٧٢]

ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشِرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

الآية: ١٩، فصلت، سورة

ومعنى يوزعون أي تجمعهم الزبانية من الملائكة وهم ملائكة العذاب الذين وصفهم الله سبحانه بالغلاط الشداد أي غلاظ القلوب شداد

الأجسام الذين لا يعصون الله فيما أمرهم . . . ويكتفي مهانة موقف المشركين والكافرين ما يلقونه من مهانة وصغار وذل على أيدي ملائكة العذاب .

يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَّا أَنفُسَكُمْ وَاهْلِكُمْ نَارًا وَقُوَّدُهَا أَنَّاسٌ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غَلَاظٌ شَدَادٌ لَا يَعْصُمُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

[سورة التحريم، الآية: ٦]

حشر الكفار إلى النار بعد فصل الحساب غير حشر الدنيا والحسير على أرض المحشر .

وهذا الحشر بعد انقضاء فصل الحساب غير الحشر على أرض الدنيا وغير الحشر على أرض المحشر . . . وهذا الحشر، الحشر إلى النار لهو من أشد الحشر صعوبة ومذلة ومهانة بما يلقونه عند سحبهم من الإهانة والصغراء ولما ينتظرون من عذاب في نار جهنم .

.... وإن من أقسى المواقف وأشدّها إيلاماً وعدباً أن الله سبحانه يأمر بهم فيحرشون إلى جهنم عمياً وبكماء وصماء .

فالله سبحانه يفعل ما يشاء وقد قدمنا في الأجزاء السابقة أن يوم القيمة مواقف ومواطن كثيرة . . فمرة يحرشهم الله عمياً وبكماء وصماء، ومرة عمياً ومرة عمياً وصماء . فهم واقعون تحت مشيئة الله سبحانه .

يقول تعالى: ﴿وَنَخْشِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عَمِيًّا وَبَكْمَانِيًّا وَصُمِّيًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلُّمَا خَبَتْ زِدَتْهُمْ سَعِيرًا﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

وربما يكون هذا الحشر على هذه الهيئة من العمى والبكاء والصم وهم في طريقهم إلى جهنم، ويعيد الله إليهم أبصارهم

وسمعهم وأستنفهم عندما يلقون في جهنم، يقول تعالى: ﴿إِذَا أَلْقَوْا فِيهَا سَيَعْوَلُهَا شَيْقًا وَهِيَ تَقُورُ﴾ .

[سورة الملك، الآية: ٧]

فالله سبحانه، إذا ألقوا في جهنم يعيد إليهم حواسهم كاملة ليزداد عذابهم وإحساسهم بنار جهنم .

.... ولقد سئل رسول الله ﷺ عن الآية الكريمة: ﴿وَخَشِرُوهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةَ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبَكَمًا وَصُمًّا﴾ .

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيمة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيمة؟» قال قتادة: بلى وعزة ربنا^(١) .

للنار تغيط وزفير إذا رأت الكافرين وهم يحشرون إليها: والكافرون والمرتكبون مغلوبون على أمرهم لا يستطيعون دفع ذلك عن أنفسهم .

يقول تعالى: ﴿فُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْنَبُونَ وَتُحَشَّرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَبِّكَ الْمَهَادُ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٢]

حتى النار الموكلة بهم لها عينان تبصران بها وتميز الكافرين والمرتكبين ولو من مكان بعيد - فما أعظم قدرة الله سبحانه .

يقول تعالى: ﴿إِذَا رَأَتُهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَيَعْوَلُهَا تَغْيِطًا وَزَفِيرًا﴾ .

[سورة الفرقان، الآية: ٥]

(١) رواه البخاري في كتاب الرفاق، باب الحشر، فتح الباري (١١/ ٣٧٧)، ورواه مسلم (٤/ ٢١٦١) ورقمه ٢٨٠٦ واللفظ لمسلم

الندم الذي يعتصر نفوس الكافرين عندما يصبحون على أبواب جهنم ويقفون عليها:

إن من أشد المواقف هولاً على الكافرين بعد أن يسحبوا على وجوههم إلى النار بأمر الله تعالى، عندما يقفون عند أبوابها قبل أن يرموا فيها بعنف ويلقوا فيها بمهانة.. ولقد صرَّ القرآن الكريم مثل هذه المشاهد تصویراً رائعاً، وكأنك في مشهد تشعر بمشاهدته أمامك.

يقول تعالى: ﴿وَرَبِّهِمْ يُعَرِّضُونَ عَلَيْهَا حَشِيعَيْنَ مِنَ الْذِلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفِ حَقِّيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَسِيرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٤٥]

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ مُؤْتَوْعَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا يَارَنَادُولُ وَلَا تُكَذِّبْ بِيَقِيَّتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٢٧]

ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعَرِّضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَبَيْتُكُمْ فِي حَيَاكُمُ الْدُّنْيَا وَأَسْتَعْنُكُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُوَنِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ يَغِيَّرُ الْحَقَّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسِيُونَ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعَرِّضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَّ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٣٤]

إنها مشاهد تصویرية وكأنها حاضرة أمامك، كيف يقف هؤلاء المجرمون والكافرون والمشركون على أطراف وأبواب جهنم قبل أن

يلقوا فيها؟ وتصور آلامهم وعذابهم النفسي وحالهم وهم قد علموا أنهم مواقعها لا محالة وأنها دار الخلد لهم، فيما ويلهم مما يتظرون.

يقول تعالى: ﴿وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَحْدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٥٣]

وإن من أعظم المشاهد التي صورها القرآن الكريم لهؤلاء الفجرة الكفرة كيف يحضرون إلى جهنم، ويوقفهم الله سبحانه قبل أن يلقاهم فيها خالدين فيها أبداً، موقف الذل والمهانة والصغرى بما استكروا في الأرض عن عبادة الله وطاعته، وبما عتوا عن أمره وظلموا عباد الله وفسقوا وعصوا وكانوا يعتدون.. فاقرأ هذا المشهد الذي صوره عالم الغيب والشهادة وهو أعلم بما سيكون يوم القيمة، وكيف يفعل بهؤلاء العتاولة الظلمة الذين أصرروا على حرب الله سبحانه وكتابه القرآن الكريم والمسلمين والمؤمنين بالله رباً وبمحمد ﷺ نبياً.

يقول تعالى: ﴿فَوَرِّبَكَ لَنَحْشِرُنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ حَيْثَا * ثُمَّ لَنَزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُ عَلَى الرَّحْمَنِ عِيشَا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْنَى بِهَا صِلْبًا﴾.

[سورة مریم، الآيات: ٦٨ - ٧٠]

فتصور لهيب النار (نار جهنم) وهم على أبوابها كيف تلفح وجوههم وتذيب شحومهم وهم جاثون على ركبهم ليسوا واقفين.

﴿ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ حَيْثَا﴾ والنار تتغیظ وتتزرق وتشهق وتتظر أمر ربها لتسحبهم وتلقيهم في قعرها وبين ظليلها.. وهذا موقف الاستكبار على الله سبحانه وليس بعد هذا الموقف من الذل إلا ذلهم ومهانتهم في نار جهنم، ولقد حشرهم الله سبحانه في مواطن أخرى

من قبل كالذر استصغرأ لهم وكانت الخلائق تطؤهم بأقدامها لذلهم وهو انهم .

وتتصور أن هؤلاء المجرمين الكافرين قد حشروا حول جهنم مع الشياطين ، فهم والشياطين سواء في الموقف حول جهنم وفي جهنم ، وتصور عذاب الشياطين الذين وصفهم الله سبحانه أنهن كانوا للرّحمن أعداء .

إنه موقف رهيب وأنت تنظر إلى أعداد هائلة لا يعلم حقيقتها وعدها إلا الله ، وقد تبلغ عشرات المليارات - تقف موقفاً واحداً أرتالاً، جاثية على ركبها تنظر بقلوب بلغت حناجرهم وبنفس امتلات ربماً وذلاً ، أظلمهم الحزى وتحلقت حولهم ملائكة العذاب والنار لها عينان تبصران تنظر إليهم وقد اشتد غيظها وتنتظر الأمر لتلقفهم وتأخذهم إلى دركها الأسفل .

كل أمة كافرة ومشركـة عند حشرـهم إلى نـار جـهـنـم تـبعـ ما كـانـت تـبـعـ وـتـؤـلـهـ :

عند الحشر إلى النار يطلب من كل أمة من هذه الأمم الذليلة أن تتبع ما كانت تبعد في الدنيا من شمس وقمر ونجوم وتماثيل وأصنام وكل هذا يتصور لهم ثم يتبعونها .. وكذلك الذين كانوا يعبدون فرعون يتبعونه ، وعشرات من الحالات ، لأن الكفار صنعوا لأنفسهم آلهة كثيرة في الدنيا وأبوا أن يعبدوا الواحد القهار .

وقد ضرب الله سبحانه لنا مثلاً في ذلك عن فرعون وكيف يرد النار هو ومن تبعه من الضالين .

يقول تعالى : ﴿يَقْدُمُ قَوْمٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارُ وَيَسُّرَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ .

وقد أرسل الله سبحانه لهم موسى عليه السلام ليهديهم صراط الله المستقيم، ولكنهم أبوا وظلوا على تأليهم وعبادتهم لفرعون، وقد وصفهم الله في كتابه بأنهم قوم فاسقون.

يقول تعالى: ﴿فَاسْتَحْفَ قَوْمًا فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ .

[سورة الزخرف، الآية: ٥٤]

فالله سبحانه لا يظلم أحداً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «إذا كان يوم القيمة أدنى مؤذن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتلقون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، وغير^(١) أهل الكتاب. فيدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيزاً ابن الله، فيقال: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا، فاسقنا، فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار.

ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ما تبغون؟ فيقولون: عطشنا، يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب، يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار.

حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا، فارقنا الناس في

(١) ومعنى غير: بقايا.

الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً (مرتين أو ثلاثة) حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد انتقاماً ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم، سلم»، قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «دحض مزلة، فيه خطاطيف وكالليب وحسك، تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوش في نار جهنم»^(١).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في إجابته للصحابية عندما سألوه عن رؤيتهم لله: «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونها يوم القيمة كذلك، يجمع الله الناس، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقواها، فيأتיהם الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتيانا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتיהם الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب جسر جهنم، قال رسول الله ﷺ: فـأـكـوـنـ أـوـلـ مـنـ يـجـيـزـ، وـدـعـاءـ الرـسـلـ يـوـمـئـذـ:

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، (١٦٧/١) ورقمه (١٨٣).

اللَّهُمَ سَلِّمْ، سَلِّمْ، وَبِهِ كَلَالِيبٍ مُثُلْ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رأَيْتَمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: بَلِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مُثُلْ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرُ عَظَمَهَا إِلَّا اللَّهُ، فَتَخْطُفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ الْمُوْبِقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدُلُ، ثُمَّ يَنْجُو»^(١).

وَرَوْيَ مُسْلِمٌ أَيْضًا عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ فِي وَصْفِ الْمَرْوُرِ عَلَى الْصَّرَاطِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَتَرْسِلُ الْأَمَانَةَ وَالرَّحْمَ، فَتَقُومُانَ عَلَى جَنْبَتِي الصَّرَاطِ يَمِينًا وَشَمَالًا، فَيَمِرُّ أَوْلَكُمْ كَالْبَرْقِ»، قَالَ: قَلْتَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأَمِيْ، أَيْ شَيْءٍ كَالْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمْرِ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرَ الرِّيحُ، ثُمَّ كَمَرَ الطَّيْرُ وَشَدَ الرِّحَالُ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالَهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصَّرَاطِ يَقُولُ: رَبُّ، سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجَزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا»، قَالَ: عَلَى حَافْتِي الصَّرَاطِ كَلَالِيبٍ مُعْلَقَةٍ مَأْمُورَةٍ بِأَخْذِهِ مِنْ أَمْرِتَ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي النَّارِ»^(٢).

وَرَوْيَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي الزَّبِيرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَسْأَلُ عَنِ الْوَرَودِ، فَقَالَ: «نَجِيْءُ نَحْنُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا اَنْظَرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ، قَالَ: فَنَدْعُى الْأَمْمَ بِأَوْثَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الْأَوْلُ فَالْأَوْلُ، ثُمَّ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظَرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظَرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظَرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّ لَهُمْ يَضْسِحُكَ. قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بَهُمْ وَيَتَبَعُونَهُ، وَيَعْطِي كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ، مَنَافِقٍ أَوْ

(١) رواه البخاري كتاب الرقاق باب: الصراط جسر جهنم، فتح الباري ١١ / ٤٤٤، ورواه مسلم كتاب الإيمان ورقم الحديث ١٨٢ واللفظ للبخاري.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١٨٧ / ١) ورقمها (١٩٥).

مؤمن، نوراً، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كاللبيب وحسك، تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء .. »^(١).

لقد دلت هذه الأحاديث الشريفة الصحيحة الواضحة والبيّنة كبيّنة الشمس في رائعة النهار كيف يحشر الكفار والمشركون إلى النار، وكيف يسير المؤمنون إلى الصراط وخلاص المؤمنين ووقوع المنافقين في نار جهنم .. وبينت لذلك معنى الورود الذي قال الله تعالى عنه في كتابه العزيز. ﴿وَإِنْ مَنْكُرٌ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

[سورة مریم، الآية: ٧١]

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان. باب أدنى أهل الجنة منزلة (١٧٥/١) ورقم الحديث (١٩١).

الفصل الرابع

عالم الصراط

- صفة الصراط .

- يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون .

- أحوال المؤمنين في جوازهم الصراط .

- الورود على النار .

- ورود المؤمنين على النار .

- حكمة ورود المؤمنين على النار .

- الأعمال التي يثبت الله تعالى بها قدم صاحبها على الصراط .

- أولاً : ملازمة المساجد .

- ثانياً : إحسان الصدقة .

- ثالثاً : إقالة المسلم عترته .

- رابعاً : تيسير الإنسان ما عسر على غيره .

- خامساً : إعانة العباد في حاجاتهم .

- سادساً : حماية المؤمن من منافق .

- الصراط لغة وشرعًا ومعتمد أهل السنة فيه .

- الخوف من زلة الأقدام والفزع الأكبر في المرور على الصراط .

- الفرح والسرور في عبور الصراط والنجاة من النار وأهواها .

- عند العبور على الصراط يبدل الله الأرض غير الأرض
والسماءات .



عالم الصراط

صفة الصراط

الصراط يضرب على ظهراني جهنم ليعبر عليه المؤمنون وأهل الإيمان من أهل الكتاب، وكذلك ليعبر عليه المنافقون وأهل الكبائر والمعاصي من أمة محمد ﷺ.

روى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: بلغني أن الجسر - أي الصراط - أدق من الشعر وأحد من السيف.

وروى الطبراني والبيهقي بسنده صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف مدحضة مزلة، عليه كاللبيب من نار يخطف بها فممسمك يهوي فيها، ومصروع، ومنهم من يمز كالبرق فلا ينشب ذلك أن ينجو، ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو، ثم كجري الفرس، ثم كرمَل الرجل، ثم كمشي الرجل»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ولجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف عليه كاللبيب وحسك تأخذ من شاء الله تعالى والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيال والركاب. والملائكة يقولون: رب سلم سلم. فناج مسلم، ومخدوش مسلم، ومكتور في النار على وجهه».

(١) قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني بإسناد حسن، وعزاه الزرقاني إلى الطبراني والبيهقي بإسناد صحيح كما في شرح المواهب ٨: ٣٩٢.

وروى البيهقي وابن أبي الدنيا وابن المبارك من مرسل عبيد بن عمير عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الصراط على جهنم مثل حرف السيف وبجنبته كاللليب وحسك يركبه الناس فيختطفون، والذي نفسي بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربعة ومضر، والملائكة على جنبته يقولون: رب سلم سلم».^(١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث طويل قال فيه ﷺ: «ثم يضرب الصراط بين ظهرياني جهنم»^(٢). وفي رواية: «ويضرب جسر جهنم (أي الصراط) فأكون أول من يجوز^(٣) من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل^(٤)، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم^(٥)، وفي جهنم كاللبيب مثل شوك السعدان هلرأيتم شوك السعدان؟» قالوا: نعم، قال: «فإنها مثلها غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تخطف^(٦) الناس بأعمالهم»^(٧).

(١) رواه البيهقي وابن أبي الدنيا / صحيح.

(٢) والمعنى أن الصراط ينصب ويمد بين ظهرياني جهنم أي بين أجزاء ظهرها كأنها محطة به.

(٣) أي يقطعه ويمضي عليه، يقال: جاز الوادي وأجازه قطعه. حكاه النروي وغيره.

(٤) أي لا يتكلم حين الإجازة على الصراط إلا الرسل، وذلك لشدة الهول وعظم الفزع. أما في غيره من المواطن فهم يسأل بعضهم بعضاً، ويلوم بعضهم بعضاً، ويجادل بعضهم بعضاً.

(٥) وهذا الدعاء من الرسل هو لأممهم شفقة عليهم ورحمة بهم.

(٦) جمع حُطَاف، وهي حديدة يختطف بها.

(٧) رواه البخاري ومسلم.

يُوكِشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِعُونَ

لقد أخبر رسول الله ﷺ أنه في ختام هذا اليوم يوم القيمة وقبل المرور على الصراط ، أن الله سبحانه يطلب من كل أمة أن تتبع ما كانت تعبد في الدنيا ، ولقد قدّمنا لذلك في الفقرات السابقة مع شواهد الآيات والأحاديث الشريفة ، فالذى كان يعبد الشمس يتبع الشمس ، والذى يعبد القمر يتبع القمر ، والذى كان يعبد الأصنام والأشخاص فإنه تصور لهم آلهتهم ثم تسير أمامهم ويتبعونها . . ثم تساقط هذه الآلهة المزعومة ويتتساقط عبادها وراءها صاغرين في السعير ونار جهنم .

يقول تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُولَتِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْهَمَّةُ مَا وَرَدُوهَا وَكُلُّ فِيهَا خَلِيلُونَ ﴾ . [سورة الأنبياء ، الآياتان : ٩٩ ، ٩٨]

ومعنى الآية الكريمة أن هذه الآلهة المزعومة لو كانت آلة لما وردت النار وتقدمتكم في الورود إلى جهنم ، والآية بخصوص الكافرين وما كانوا يعبدون في الدنيا .

.. فإذا ورد الكافرون وما يعبدون إلى جهنم وتساقطوا فيها وألقوا إلقاء مهانة كما قدّمت . . لم يبق إلا المؤمنون وبقایا أهل الكتاب والمنافقون من أمة محمد ﷺ وأهل الكبائر والمعاصي .

فيأتيهم ربهم فيقول لهم : ما تنتظرون؟ فيقولون : ننتظر ربنا ، ويشكل عليهم أموراً كثيرة ، حتى يكشف الله سبحانه لهم عن ساقه فيعرفونه وعند ذلك يخرون سجداً إلا المنافقين فإنهم لا يستطيعون .

يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكَشَّفُ عَنِ سَاقٍ وَيُدَعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِعُونَ خَشِعَةً أَقْصَرُهُمْ تَرْهِقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴾ .

[سورة القلم ، الآياتان : ٤٢ ، ٤٣]

وفي تفسير ابن كثير لهاتين الآيتين الكريمتين يقول : لما ذكر تعالى أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم ، بين ذلك حتى كأنه كائن وواقع ، فقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكَشَّفُ عَنِ سَاقٍ وَيُدَعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِعُونَ ﴾ يعني يوم القيمة وما يكون فيه من الأهوال والبلاء والامتحان والأمور العظام ، روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رباء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً »^(١) .

وقال ابن عباس : هو يوم القيمة يوم كرب وشدة . وعن ابن مسعود ﴿ يَوْمَ يُكَشَّفُ عَنِ سَاقٍ ﴾ قال : عن أمر عظيم كقول الشاعر : شالت الحرب عن الساق^(٢) . وقال ابن جرير عن مجاهد : ﴿ يَوْمَ يُكَشَّفُ عَنِ سَاقٍ ﴾ هو الأمر الشديد الفظيع من الهول يوم القيمة ، وقال العوفى ، عن ابن عباس قوله : ﴿ يَوْمَ يُكَشَّفُ عَنِ سَاقٍ ﴾ يقول : حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال ، وكشفه دخول الآخرة ، وروي عن النبي ﷺ قال :

(١) أخرجه الشیخان وغيرهما من طرق وله ألفاظ وهو حديث مشهور.

(٢) رواه عنهما ابن جرير .

﴿يَوْمَ يُكَسَّفُ عَنْ سَاقِ﴾ يعني عن نور عظيم يخرؤن له سجداً^(١).
وقوله تعالى: ﴿خَيْثَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهُقُهُمْ ذَلَّةً﴾ أي في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقيبا بنقيض ما كانوا عليه، ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم، كذلك عوقيبا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة، إذا تجلى رب عز وجل فيسجد له المؤمنون، ولا يستطيع أحد من الكافرين أو المنافقين أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً، كلما أراد أحدهم أن يسجد خر لقفاه^(٢)، فالمؤمنون يسجدون والمنافقون لا يستطيعون، ثم يتبع المؤمنون ربهم وينصب الصراط، ويعطى المؤمنون أنوارهم التي وعدهم الله سبحانه بها، ويسيرون على الصراط بالنور التام ويطفأ نور المنافقين، فيطلبون النور، ويقال لهم: ﴿أَرِجُوا وَرَاءَكُمْ فَالَّتِي سُوَا نُورًا﴾، ثم يضرب بينهم بسور له باب باطننه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، ويمر العباد على الصراط مسرعين بقدر إيمانهم وأعمالهم الصالحة.

مشهد مرور المؤمنين على الصراط وأحوال المنافقين عليه كما جاء في القرآن الكريم

لقد صوّر لنا القرآن الكريم مشهداً رائعاً عن أحوال المؤمنين والكافرين عند العبور على الصراط يوم القيمة، حيث يعطي الله سبحانه المؤمنين نوراً تاماً ليروا ما أمامهم وهم يمرون على الصراط

(١) أخرجه ابن جرير عن أبي بردة بن أبي موسى مرفوعاً ورواه أبو يعلى.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير صفحة (٥٣٧).

الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف، فيمرون برحمة الله وما أكسبهم الله سبحانه من النور، ويصور لنا المشهد أحوال المنافقين الذين كانوا على النفاق في الدنيا، الذين كانوا يظهرون الإيمان ويبطون الكفر.. وكذلك الذين استكروا من المؤمنين عن طاعة الله وارتكبوا فواحش وكبائر وماتوا عليها دون توبة ولا استغفار.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشِّرَتُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْنَاهَا الْأَمْهَرُ خَلِيلِنَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْتَقِيُّونَ وَالْمُنْتَفَقُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظُرُوهُنَا نَقْيَسْ مِنْ نُورِكُمْ قَبْلَ أَرْجِعُوهُنَا وَرَاهُ كُمْ فَالَّتِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ سُورٌ لَهُ بَابٌ بِاطِّهُ فِي الرَّحْمَةِ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادِيهِمْ أَلَمْ تَكُنْ عَمَّكُمْ قَالُوا بَلْ وَلَكِنَّكُمْ فَنَتَمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَأَرْتَبَّتُمْ وَغَرَّتُكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فَدِيةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا وَنَكُمْ أَثَارُهُ مَوْلَانُكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾.

[سورة الحديد، الآيات: ١٢ - ١٥]

وفي تعليق لشارح الطحاوية^(١) حول هذا الموضوع يقول: «وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويختلفون عنهم، ويسقطهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم، روى البيهقي بسنده عن مسروق، عن عبد الله، قال: يجمع الله الناس يوم القيمة إلى أن قال: فمنهم من يعطي نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطي نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطي نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطي دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يعطي نوره في إبهام قدمه، يضيء مرة وينطفأ أخرى، إذا أضاء قدم قدمه، وإذا أطفأ قام، قال: فيمر

(١) شرح الطحاوية: ص ٤٧٠ وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ذكر أن الأحاديث التي ذكرت في شرح الطحاوية صحيحة.

ويمرؤن على الصراط ، والصراط كحد السيف دحض مزلة ، ويقال لهم : امضوا على قدر نوركم ، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كالطرف ، ومنهم من يمر كشد الرجل ، يرمل رملاً على قدر أعمالهم ، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه ، تخرّيده ، وتعلق يد ، وتخرّي رجل وتعلق رجل ، وتصيب جوانبه النار ، فيخلصون فإذا خلصوا ، قالوا : الحمد لله الذي نجانا منك ، بعد أن أرانا إليك ، لقد أعطانا ما لم يعط أحد » .

أحوال المؤمنين في جوازهم الصراط

أحوال المؤمنين في عبورهم الصراط تختلف باختلاف درجات إيمانهم وأعمالهم أو نفقاتهم ومعاصيهم وكبائرهم . . ف منهم السالم الذي يمر من الريح فينجو ، ومنهم من يخدش ثم ينجو ، ومنهم الهاك الذي تتخطفه الكلاليب ثم يهوي في جهنم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث طويل قال فيه عليه السلام : « ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم ^(١) ». وفي رواية : « ويضرب جسر جهنم أي الصراط) فأكون أول من يجوز ^(٢) من الرسل بأمته ، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل ^(٣) ، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ^(٤) ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هلرأتم شوك السعدان؟ » قالوا : نعم . قال : « فإنها مثلها غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تخطف ^(٥) الناس بأعمالهم » ^(٦) .

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله عليه السلام : « ثم

(١) والمعنى أن الصراط ينصب ويمد بين ظهراني جهنم أي بين أجزاء ظهرها كأنها محطة به .

(٢) أي يقطعه ويمضي عليه ، يقال : جاز الوادي وأجازه قطعه . حكاه النووي وغيره .

(٣) أي لا يتكلم حين الإجازة على الصراط إلا الرسل وذلك لشدة الهول وعظم الفزع . أما في غيره من المواطن فهم يسأل بعضهم بعضاً ، ويلوم بعضهم بعضاً ، ويجادل بعضهم بعضاً .

(٤) وهذا الدعاء من الرسل هو لأمّهم شفقة عليهم ورحمة بهم .

(٥) جمع خطاف ، وهي حديدة يخطف بها .

(٦) رواه البخاري ومسلم .

يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللَّهُمَّ سَلِّمْ «
قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟

فقال ﷺ: «دَحْضٌ مَزْلَةٌ، فِيهِ خَطَايِيفٌ، وَكَلَالِيبٌ»^(١)، وحسك تكون بِنَجْدٍ فيها شويكة يقال لها: السعدان^(٢)، فيمر المؤمن من كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب.

فناج مسلم، ومخدوش^(٣) مرسل، ومكدوس^(٤) في نار جهنم. حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله تعالى في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيمة لإخوانهم الذين في النار.

يقولون: ربنا كانوا يصومون، ويصلون، ويحجون. فيقال لهم:
أخرجوا من عرفتم فتحرّم صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار بعضهم إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه^(٥).

يقول الإمام النووي رضي الله عنه في تفسيره للحديث الشريف:
إن الناس على الصراع ثلاثة أقسام:
١ - قسم يسلم فلا يناله شيء أصلاً.
٢ - وقسم يخداش ثم يرسل فيخلاص.
٣ - وقسم يكردش ويلقى فيسقط في جهنم.

فالمؤمنون الصادقون يمرون على الصراع وهم في أمان وسلام

(١) جمع كلوب: حديدة معكوفة الرأس يعلق فيها، ويقال لها: الكلاب.

(٢) قال الزرقاني: السعدان بفتح السين والدال بينهما عين ساكنة مهملة.

سعدان جمع سعاداته: نبات ذو شوك والتشبّيه به لسرعة احتطافها وكثرة الانتساب فيها.

(٣) أي مخموش ممزق.

(٤) أي يلتقي بعضهم فوق بعض في جهنم.

(٥) رواه مسلم في صحيحه.

يضيء لهم نور إيمانهم وأعمالهم الصالحة، ويسمى بين أيديهم وبأيمانهم.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ الَّذِي أَمْنَى وَالَّذِينَ أَمْنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَيْمَ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَلَيْلٌ ﴾ .

[سورة التحرير، الآية: ٨]

ويقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشِّرُوكُمْ الْيَوْمَ جَئَتْ بَهْرَىٰ مِنْ قَعْدَنَا الْأَنْهَىٰ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

[سورة الحديد، الآية: ١٢]

- عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ «بشر المشائين في الظل إلى المساجد بالنور
النَّاَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

[رواه ابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه والحاكم واللفظ له]

فحال كل مؤمن على الصراط أنه يمشي على نور إيمانه الشامل في العمل والاعتقاد والقول، وتكون قوة النور على قدر قوة إيمانهم.

- وقال قتادة: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ كان يقول:

«من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين، وصنعاء،
فدون ذلك حتى إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه»^(١).

- روى ابن أبي حاتم وابن جرير عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ قال: على قدر أعمالهم يمرون على الصراط: منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل

(١) تفسير ابن كثير.

النخلة، ومنهم مَن نوره مثل الرجل القائم، وأدنىهم نوراً مَن نوره في إبهامه يتقدّم مرة ويُطفأ مرة.

- وروى الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الصراط كحد السيف دحْض مزْلة، قال: فِيمَرُونَ عَلَى قَدْرِ نُورِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْرُّ كَانْقَاضَ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْرُّ كَالْطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْرُّ كَشَدَ الرَّجُلِ وَيَرْمَلَ رَمَلاً، فِيمَرُونَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَمْرُّ الَّذِي نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدْمِيهِ تَخْرُّ يَدٌ وَتَعْلُقٌ يَدٌ، وَتَخْرُّ رَجُلٌ وَتَعْلُقٌ رَجُلٌ فَتَصِيبُ جَوَانِبَ النَّارِ»^(١).

(١) قال الحافظ المنذري: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم واللفظ له.

الورود على النار

ورود المؤمنين على النار:

يقول تعالى: ﴿ وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ تُنَجَّى الَّذِينَ أَتَقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا حِيشَانًا ﴾ .

[سورة مریم، الآیات: ٧١، ٧٢]

هذه الآية الكريمة لها تفسيرات وتأويلات وتحليلات.. فالآية الكريمة تشير إلى أن الناس جمیعاً يوم القيمة واردون إلى النار لا محالة كما في تفسير الآية.

والكلام على هذه الآية الكريمة له وجوه متعددة، وذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالورود هنا المرور على الصراط، يقول شارح الطحاوية: وخالف المفسرون في المراد بالورود في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه مرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ تُنَجَّى الَّذِينَ أَتَقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا حِيشَانًا ﴾ . وفي «الصحيح» أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لا يلتج النار أحد بایع تحت الشجرة». قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿ وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فقال: ألم تسمعيه قال: ﴿ ثُمَّ تُنَجَّى الَّذِينَ أَتَقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا حِيشَانًا ﴾ . أشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه يقال: نجاه الله منهم.

وقال العلماء: إن الكلام على هذه الآية الكريمة من وجوه:

أولاً: عموم الورود لجميع الثقلين وأنهم كلّهم سيردون جهنم يوم القيمة، ثم ينجو من ينجيه الله تعالى ويترك فيها الظالمون.

ثانياً: البحث في المراد بالورود في هذه الآية الكريمة وقد اختلف العلماء في ذلك:

- فذهب بعضهم إلى أن المراد من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَنْكُفٌ إِلَّا وَارِدٌ هَا﴾ الجواز على الصراط لأنّه ممدود على النار، قال في المawahب وشرحها: ورجم هذا القول الإمام النووي، وروى ابن عساكر عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار أنّهم قالوا: الورود هو المرور على الصراط، وكذا قال الحسن البصري، في رواية البيهقي بلفظ: الورود المرور عليها من غير أن يدخلها، وكذا قاله خالد بن معدان وعكرمة عند البيهقي وغيره.

وذهب كثير من العلماء إلى أن المراد بالورود هو الدخول، وقد رجح هذا القول العلامة القرطبي، وأخرجه الحاكم عن ابن مسعود والبيهقي عن ابن عباس وقاله جماعة^(١).

قال الحافظ ابن كثير: وإلى هذا القول ذهب علي وابن عباس رضي الله عنهم، وعليه جمهور أهل العلم سلفاً وخلفاً، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى مخبراً عن فرعون وقومه يوم القيمة: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدُهُمُ النَّارُ وَيُئْسَ أَلْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾.

والمعنى: إن فرعون يتقدم قومه إلى النار قائداً لهم كما قادهم

(١) كذا في شرح المawahب ٨: ٣٩٣، (الإيمان بعوالم الآخرة) الشيخ عبد الله سراج الدين، طبع في حلب.

في الدنيا حتى يرد بهم النار أي يدخلهم النار، ويدخل معهم بطبيعة الحال . واستدلوا على ذلك أيضاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُورِنَ اللَّهُ حَصِيبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ أي يدخلون فيها .

وастدلوا على ذلك أيضاً بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ أَتَقَوْا﴾ فإن الله تعالى أخبر عن نتيجة الواردين فقال: ﴿وَإِنْ مَنَكُمْ إِلَّا وَأَرِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّىٰ مَقْضِيَّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ أَتَقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِئْنَاهُ﴾ .

فقد نجى الله تعالى المتقين بعدما وردوها ، وقد أبقى فيها أي في داخلها الظالمين جائين على الركب من الزحام والضيق فيها . فهذا دليل على أن الذين اتقوا أنجاهم الله تعالى منها بعدما دخلوها ، فأخرجهم ناجين لم يمسسهم سوء ، إذ أن النجاة تكون بعد الدخول فيها والتعرض لنيرانها .

المؤمنون الأتقياء يدخلونها دخول مرور وعبور ، أما الكفار فإنهم يدخلونها دخولبقاء فيها وقرار .

وأرى أن أصح الأقوال في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَنَكُمْ إِلَّا وَأَرِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّىٰ مَقْضِيَّا﴾ هو المرور على الصراط ، وإلا ما معنى المرور على الصراط؟ ولم يضرب الصراط؟ إذا لم تكن الغاية منه أن يمر عليه المؤمنون فيرموا النار وعظيم أمرها وحرها ولهيبها ، فيحمدوا الله سبحانه على أنهم رأوها وما هم داخلين فيها ، وكذلك فإن المرور على الصراط حتى يتسلط المنافقون والعصاة وأهل الكبائر ، فيرى ذلك المؤمنون المتقون فيحمدون الله سبحانه على إنقاذهم مما يرونـه من تساقط المنافقين والعصاة .. فلكل شيء حكمه عند الله سبحانه .

حكمة ورود المؤمنين ومرورهم على جهنم

قال العلامة المفسر المعروف بالخازن: فإن قلت: إذا لم يكن على المؤمنين عذاب - أي في ورودهم جهنم - فمافائدة دخولهم النار؟

قلت: فيه وجوه: أحدها - أن ذلك مما يزيدهم سروراً إذا علموا الخلاص منها، أي وأيقنوا بالنجاة من عذابها بعد أن عاينوها، بذلك يفرحون ويطمئنون.

ثانية - أن فيه - أي في ورود المؤمنين جهنم - مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها - بسلام - وهم باقون فيها.

ثالثها - أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب الذي يكون على الكفار صار ذلك سبباً لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة.

يعني لأنه بضدتها تميز الأشياء، وذلك مما يزيدهم فرحاً بنعيم الجنة وسروراً، وشكراً لله تعالى الذي تفضل عليهم بالإيمان والأعمال الصالحة، وتفضل عليهم بقبولها منهم، وتفضل عليهم بأن نجاهم من عذاب جهنم، وتفضل عليهم بأن أدخلهم جنات النعيم ولم يجعلهم في دار الجحيم، ولذلك راحوا يحمدون الله تعالى ويشنون عليه، فقالوا كما أخبر الله تعالى

عنهم: ﴿وَقَالُوا لَهُمْ حَمْدٌ لِلَّهِ الَّذِي هَدَنَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِي لَوْلَا أَنَّ هَدَنَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُنَا بِالْحَقِّ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٤٣]

خامساً - قوله سبحانه في الآية: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّىٰ مَقْضِيَّا﴾ في هذا يبيّن سبحانه لعباده أن هذا المروء العام هو مقتضى حكمة ربوبيته سبحانه، وأنه قضى ذلك وحتمه على نفسه فلا محicus للإنسان عنه ولا مخلص له منه.

الأعمال التي يثبت الله تعالى بها قدمي صاحبها على الصراط

وقد حضَّ النبي ﷺ على تعاطي الأعمال التي يثبتَ الله تعالى بها قدمي صاحبها على الصراط، فمن ذلك أولاً: ملازمة المساجد: كما جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه: سمعت الرسول ﷺ يقول: «المسجد بيت كل نقي، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالرُّفُح والريحان والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة».

قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وقال: إسناده حسن، وهو كما قال رحمه الله تعالى. وعزاه الزرقاني أيضاً إلى سعيد بن منصور.

ثانياً: إحسان الصدقة:

وذلك بأن تكون من مال حلال، وأن تقع موقعها، فقد روى أبو نعيم والأصبهاني مرفوعاً: «من أحسن الصدقة جاز على الصراط مُدلاً». قال في النهاية: أي منبسطاً لا خوفُ عليه، وهو من الإدلال.

ثالثاً: إقالة المسلم بيته وعثرته:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أقال مسلماً بيته أقاله الله عثرته يوم القيمة». قال المنذري: رواه أبو داود وابن ماجه

وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما.
قال: وفي رواية لابن حبان: «من أقال مسلماً عثرته أقال الله
عثرته يوم القيمة».

رابعاً: تيسير الإنسان ما عسر على غيره:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في بلوغ بز أو تيسير عسير أعاذه الله تعالى على إجازة الصراط يوم القيمة عند دحوض الأقدام». أي عندما تزل الأقدام عند مرور الصراط.

قال في الترغيب: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وابن حبان في صحيحه.

خامساً: إعانته العباد في حاجاتهم والمشي في قضاء مهماتهم:
عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال:
يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله؟ فقال: «أحب الناس إلى الله
أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم:
تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً، ولأن مشي مع
أخي في حاجة أحب إلي من أن اعتكف في هذا المسجد شهراً، ومن كظم
غشه ولو شاء أن يمضي أمضاه، ملأ الله قلبه يوم القيمة رضاً، ومن مشى
مع أخيه في حاجة حتى يقضيهما له يثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام». رواه
الأصبهاني وابن أبي الدنيا. وعند ابن حبان: «من أعاذه عبداً في حاجته
ثبّت الله له مقامه يوم تزل الأقدام».

سادساً: حماية المؤمن من منافق:

فعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنه عن

النبي ﷺ قال : « من حمى مؤمناً من منافق بعث الله له ملكاً يحمي لحمه يوم القيمة من نار جهنم ، ومن رمى مسلماً يريد به شيئاً حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال ». .

[رواه أبو داود]

الصراط لغة وشرعًا ومعتمد أهل السنة فيه

الصراط لغة: الطريق الواضح.

الصراط شرعاً: جسر ممدود على متن جهنم، يرده الأولون والآخرون.

... وقد بين السفاريني - موقف الفرق من الصراط وهل هو صراط مجازي أو حقيقي؟ ثم قرر مذهب أهل الحق الذي دلت عليه النصوص فيه، فقال: «اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة، لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسراً ممدوداً على متن جهنم، أحد من السيف وأدق من الشعر، وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزمي، وكثير من أتباعه زعموا منهم أنه لا يمكن عبوره، وإن أمكن ففيه تعذيب، ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيمة، وإنما المراد طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سَيَهِدِّيهِمْ وَيُصْلِحُّ بَالْمُؤْمِنِينَ﴾.

[سورة محمد، الآية: ٥]

وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾.

[سورة الصافات، الآية: ٢٣]

ومنهم من حمله على الأدلة الواضحة والمباحات والأعمال على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء، أو الوقوف فيه، وقد أجاب عليه السلام عن سؤال حشر الكافر

على وجهه بأن القدرة صالحة لذلك، وأنكر العلامة القرافي كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف، وسبقه إلى ذلك شيخه العز ابن عبد السلام، والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل، كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح مما لا يحصى إلا بكلفة، من أنه جسر مضروب على متن جهنم عليه جميع الخلائق، وهم في جوازه متفاوتون ».

[لوامع الأنوار البهية ١٩٢/٢]

ذكر القرطبي مذهب القائلين بمجازية الصراط، المؤولين للنصوص المصرحة به، فقال: «ذهب بعض من تكلم على الأحاديث إلى وصف الصراط بأنه أدق من الشعر وأحد من السيف، أن ذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى لخفائها وغموضها، وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي دقيقاً، فضرب المثل بدقة الشعر فهذا من هذا الباب، ومعنى قوله: أحد من السيف أو الأمر الدقيق الذي يصعب من عند الله تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ حد السيف ومضييه إسراعاً منهم إلى طاعته وامتثاله، ولا يكون له مرد، كما أن السيف إذا نفذ بحده وقوته ضاربه في شيء لم يكن له بعد ذلك مرد، وأما أن يقال: إن الصراط نفسه أحد من السيف وأدق من الشعر فذلك مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنبه، وأن فيه كالليب وحسكاً، أي إن من يمر عليه يقع على بطنه، ومنهم من ينزل، ثم يقوم، وفيه أن من الذين يمرون عليه من يعطى النور بقدر موضع قدميه، وفي ذلك إشارة إلى أن للمارين عليه مواطئ الأقدام، ومعلوم أن دقة الشعر لا يحتمل هذا كله ثم رد مقالتهم، فقال: «ما ذكره هذا القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار وأن الإيمان يجب بذلك، وأن القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن،

فيجريه أو يمشيه، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة ولا استحالة في ذلك للأثار المروية في ذلك، وبيانها بنقل الأئمة العدول، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور»^(١).

وقد بيّن شارح الطحاوية معتقده في الصراط المذكور في الأحاديث قال:

[ونؤمن بالصراط، وهو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، كما قالت عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ سُئل: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماءات؟ فقال: «هم في الظلمة دون الجسر»]^(٢).

(١) التذكرة للقرطبي صفحة ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٢) شرح الطحاوية صفحة ٤٦٩.

الخوف من زلة الأقدام والفزع الأكبر في المرور على الصراط

إن لورود العباد جهنم ومرورهم على الصراط المضروب بين ظهرانيها، فرعاً في قلوب الواردين، وخوفاً من زلة الأقدام والتردي في نار جهنم، وقد نبه النبي ﷺ إلى خطورة ذلك الورود حيث قال: «ثم يضرب الصراط بين ظهريني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم».

فما أعظم ذلك المرور وما أخطره حتى إن جميع المارين لزموا الصمت فلا كلام إلا من الرسل، وكلام الرسل يومئذ سلم سلم، فراحوا يدعون الله تعالى لأتبعهم أن يجعلهم الله تعالى في سلام وأمان بحيث يجتازون الصراط سالمين آمنين من المخاوف والمكاره.

فما أرحم الرسل بأتبعهم وما أشد رأفتهم وعطفهم على الذين آمنوا بهم! وتمسکوا حق التمسك بشريعتهم، لقد أهمهم أمر أتباعهم من مفزعات الصراط ومخاوفه.

وأعظمهم رحمة وأشدهم رأفة سيدنا محمد ﷺ الذي قال الله تعالى فيه: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ». وقال تعالى فيه: «خَرِصْ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» صلوات الله تعالى وسلمه عليه وعلى سائر إخوانه من النبئين والمرسلين.

روى الإمام مسلم عن حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهمَا قالاً: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الناس ...». فذكر الحديث إلى أن قال: «فيأتون محمداً ﷺ فيقوم ويؤذن له وترسل معه الأمانة والرحم فيقومان جنبي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق» قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟

قال: «ألم تر إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم. ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زاحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به فمخدوش ناج، ومكدوس في النار ...». الحديث.

فالله تعالى ينجي المتقين قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ آتَقْنَا﴾ ... الآية، يجعلهم في أمن وأمان.

قال تعالى: ﴿وَنُنْجِي اللَّهُمَّ الَّذِينَ آتَقْنَا لَمَفَازَتِهِمْ لَا يَمْسُهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ﴾ اللهم اجعلنا منهم، ولما كان المرور على الصراط خطيراً، بين النبي ﷺ أن الذين تزل أقدامهم حين يمرون على الصراط هم كثيرون.

روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن على جهنم جسراً أدق من الشعر وأحد من السيف أعلى نحو الجنة - دحص مزلاً، بجنبيه كلاليب وحسك النار، يحشر الله به من يشاء من عباده، الزالون والزالات يومئذ كثير»^(١).

اللهُمَّ اجعلنا من الذين يجوزون صراطك كالبرق الخاطف، ولا تجعلنا من الزالين والزالات يا أرحم الراحمين.

(١) الإيمان بعوالم الآخرة وموافقاتها، الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله.

الفرح والسرور في عبور الصراط والنجاة من النار وأهواها

إلى طريق الله أدعوك وإلى جنات الخلد أستضيفك وإلى رضا الله أرجوك، وتوهم نفسك أنك أصبحت في نهاية يوم القيمة، وكنت من الذين من الله عليهم وجزت الصراط وأهواهه، وهو آخر المطاف من يوم دام في مقداره خمسين ألف سنة، وبعد هذا التصور، تصوّر نفسك والعياذ بالله أنك ممن وقع من على الصراط وتخطفته الأشواك بأمر الله وكان من زمرة أهل جهنم. ثم توهّم نفسك أنك من أهل العفو وجزت الصراط الذي يضرب بين ظهراني جهنم، ونورك معك يسعى بين يديك وعن يمينك، مبيض وجهك بعد أن حاسبك الله سبحانه وأيقنت برضاه عنك وأنت على الصراط مع زمر العبادين ووفود المتقين والشهداء والأبرار والصالحين، والملائكة، والرسل، لهول الصراط والمرور عليه تنادي: اللهم سلم سلم، والوجل والخوف لا يفارقك والقلوب في الحناجر تنادي وينادي المؤمنون معك: «رَبَّنَا أَتَيْمَ لَنَا ثُرُّنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وتدبّر أمرك والمنافقون يسقطون من على الصراط واحداً تلو الآخر تخطفهم الكلاليب والشوك، وقد طفى نورهم، وهاج الوجل في قلوبهم وهم عميان يكمرون صمم، فتوهم نفسك أيها المؤمن وقد انتهيت إلى آخر الصراط وقد سلمك الله من أهواهه فغلبت على قلبك النجاة، واستاقت نفسك إلى رضا الله حتى صرت إلى آخره، خطوت

بأحد رجليك إلى العَرَصة التي بين آخر الجسر وبين باب الجنة فوضعتها على العَرَصة التي بعد الصراط، ولا تزال قدمك الثانية على الصراط والخوف والأمل قد اعتصما في قلبك وغلبا عليك رهبة ورغبة، ثم ثنيت برجلك الأخرى فجزت الصراط كله، واستقرت قدماك الائتنان على تلك العَرَصة، ثم زلت عن الجسر ببدنك كله وخلفته وراء ظهرك، وجهنم تضطرب من تحت من يمر عليها، وتثبت على من زل عنده مغناطة تزفر عليه وتشهق إليه، ثم التفت إلى الجسر فنظرت إليه باضطرابه ونظرت إلى الخلائق من فوقه وإلى جهنم من تحته تثب وتزفر على الذين زُلزلوا عن الصراط، لها في رؤوسهم صيد وانقضاض، فطار قلبك فرحاً إذا رأيت عظيم ما نجاك الله منه فحمدت الله وازدادت له شكرًا إذ نجوت رغم ضعفك وقلة حيلتك من النار، وخلفتها تزعق وتشهق بأعناقها الممتدة إلى الجسر تخطف كل عتل جبار سعى في الأرض فساداً، وأبى غروراً أن يكون من الطائعين العابدين.

فما أعظمها من لحظة وأنت تتجه إلى جوار ربك، وخطوت آمناً من أي فزع إلى باب الجنة، وقد امتلاً قلبك سروراً وفرحاً، فلا تزال في ممرك بالفرح والسرور حتى تواتي أبوابها، فإذا وافيت بابها استقبلتك بحسنه، فنظرت إلى حسنها ونورها وحسن صورة الجنة وجدرانها، وقلبك مستطير فرح مسرور، متعلق بدخول الجنة مع أولياء الرحمن فتصور نفسك أنت من أهل هذا الموكب وهم أهل الكرامة والرضوان، مبيضة وجههم مشرقة برضاء الله مسرورون مستبشرون، وقد وصلت إلى باب الجنة بعد حرّ المقام ووهج تعب مرافق مركّب معك، ثم نظرت إلى العين التي أعدها الله لأوليائه وعباده الذين ارتضاهم في جناته - وإلى حسن مائتها فانغمست فيها مسروراً لما وجدت من برد مائتها

وطبيها فذهب عنك بحزن المقام وطهرك من كل دنس وخبث.

وتصور فرحة فؤادك لما باشر برد مائتها بدنك ، بعد حرّ الصراع ووحج القيامة وأهوالها ، وأنت فرح لعلمك أنك إنما تغتسل لتطهير لدخول الجنة والخلود فيها ، وقد أصبح بالنسبة إليك يوم القيامة وأهواله الذي امتد في أهواله خمسين ألف عام سراباً ماضياً ، ثم تخرج من هذا المغتسل في أحسن صورة وأتم نور ، ثم تقصد العين الأخرى فتناول من بعض آنيتها وهي من ذهب ، وتصور حسن الإناء وحسن الشراب حتى إذا وضعت الإناء على فيك ثم شربته وجدت طعم شراب لم تذق مثله ، وذلك لتطهير قلبك من كل غلٌّ وحسد ، وبعد أن تستكمل طهارة القلب والبدن ويستكمل أحباء الله ذلك معك ، والله مطلع يراك ويراهم وقد تفرّغ الله لنا^(١) لإكرامنا ﴿سَقَعْ لَكُمْ أَيْهَةُ الْثَّقَلَانِ﴾ .

[سورة الرحمن ، الآية : ٣١]

أمر الله الكرييم المتحن على عباده وأوليائه خزان الجنة من الملائكة الذين لم يزالوا مطيعين خائفين منه مشفقين وجلين ، فانحدروا من قصورها ودورها وساحاتها وأتوا باب الجنة فمدوا أيديهم ليفتحوا أبوابها وسمعت حسن صرير أبوابها فعلاك السرور وغلب على فؤادك ، فيا سرور وحبور المفتوح لهم باب جنة رب العالمين ، فلما فتح لهم بابها هاج نسيم طيب الجنان وطيب جري مائتها ففتح وجهك وجمبع بدنك ، وثارت أرياح الجنة العبة الطيبة وهاج ريح مسکها الأذفر وزعفرانها المونق وكافورها الأصفر وعنبرها الأشہب ، وأرياح طيب ثمارها وأشجارها ونسيمها

(١) الإمام المحاسبي (التوهم في أهوال الآخرة).

فتداخلت جميع تلك الأرایح الفواحة ودخلت في صدرك وأنفك ووصلت إلى دماغك، وصار طيبها في قلبك وفاض من جميع جوارحك، ثم نظرت قبل أن تدخل إلى حسن قصورها وتأسيس بنياتها ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ المبني من طائق الجندي الأخضر من الزمرد والياقوت الأحمر والدر الأبيض قد سطع منه نوره وبهاؤه وصفاؤه ونظرت إلى حجب الله وأياته التي أخفاها عنك ووعدك بها وبرؤيتها ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيِّدِكُمْ إِيَّاهُمْ فَنَعْرِفُونَ﴾وها أنت أمامها وأمام وعد الله وصدقه .

وهذا كله قد أكمله الله في الصفاء والنور ومازجه نور ما في الجنان ونظرت إلى هذا، وفرح فؤادك لمعرفتك إذا دخلتها، فإن لك فيها ما لم يخطر على قلب بشر وفيها الزيادات والمزيد وليس بمخرج منها، وليس فيها تعب ولا نصب وفيها النظر إلى وجه ربك الكريم .

فتصور وتخيل نفسك أنك مع الناجين وقد نفضل الله عليك .

ثم أقبلت الملائكة وفتحت أبواب الجنة وأقبلوا عليك ضاحكين في وجهك ووجوه من معك من أولياء الله، ونادوا: ﴿سَلَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾، وأنبعوا السلام بقولهم: ﴿طَبِّسُمْ فَادْخُلُوهَا حَالِيْنَ﴾ . ولما سمعت من الملائكة - العظام الذين ينهال النور من اعتاب وجههم، وقد أشعلت مداخل الجنة بأنوار مبهجة فرحة - بادرت الباب بالدخول فاكتظت الأبواب من الرحام، فما ظنك بباب مسيرة أربعين عاماً كظيف من زحام أولياء الله، فأنعم بهم من مزدحمين مبادرين إلى ما قد نظروا وعاينوا في دخولهم من حسن القصور التي هي من الياقوت والدر والذهب، فلما جاوزت الباب بفضل الله ووضعت قدميك على

تربيتها وهي مسک أذفر ونبت الزعفران المُونَق والمسك على أرض من فضة والزعفران نابت حولها وهي أول خطوة خطوطها في أرض البقاء والخلود، قد أمنت عذاب الله وأمنت من الموت الذي فرّ من المؤمنين بلا عودة ولا خوف منه.

وتخيل نفسك وقد أصبحت تتخطى من ترب المسک ورياحين الزعفران وعيناك ترمقان حسن بهجة الدر من حسن أشجارها وزينة قصورها، وبينما أنت تتخطى في عَرَصَاتِ الجنان في رياض الزعفران وكثبان المسک إذ نودي في ولدانك وغلمانك وأزواجك من الحور العين إن فلاناً بن فلان ابن فلانة قد أقبل، فأجابوا متهللين مستبشرين لقدومك فتكون الأفراح، وتستقبل استقبالاً عظيماً في ملك عظيم ونعمك كبير كل شيء فيه سرور وحبور، فالأرض تغنى والأشجار تطرب وكل ما خلق الله من جمال يرقص بين يديك بهجاً ومسروراً.

إني أدعوك إلى هذا فهل تستجيب وهل لك رجاء وأمل غير هذا؟ جعلني الله وإياك من أهلها وساكنيها ووارثيها وملّاكها، والله على كل شيء قادر، والله أعلم.

عند العبور على الصراط تبدل الأرض غير الأرض والسماء

لقد وعد الله سبحانه في كتابه الكريم أن الأرض ستبدل يوم القيمة غير الأرض وكذلك السماوات . . . ولو عدنا إلى الجزء الرابع من الموسوعة عندما تحدثنا عن الحشر وقيام الساعة وانفطار السماوات وتشققها وانكدار النجوم وتسيير الجبال وتسبير البحار . . فقد بينما عظيم أمر السماء الدنيا وما فيها من آلاف المليارات من مجرّات والتي تحوي كل مجرة أكثر من مائة مليار كوكب ونجم . كل هذا كما وعد الله سبحانه أنها تبدل وتطوى كما يطوي السجل الكتب .

يقول تعالى : «**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاوَاتِ كَلْمَى السِّجْلِ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ تُعِيدُهُ وَعَدَّا عَيْنَاهُ إِنَّا كُنَّا فَنِعِيلِينَ**» .

[سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٤]

ويقول تعالى : «**يَوْمَ تَبَدَّلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزَوا إِلَهٌ أَلَوْحَدٌ الْفَهَارِ**» .

[سورة إبراهيم ، الآية : ٤٨]

والسؤال متى يتم تبديل الله سبحانه الأرض بغير الأرض والسماءات بغيرها؟ وفي أي مرحلة من مراحل يوم القيمة يتم هذا التبديل؟؟

... لقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن الوقت الذي يتم فيه هذا التبديل هو عند مرور المؤمنين على الصراع أو قبل ذلك بقليل.

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدِّلُ الْأَرْضُ عَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ ... فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: عَلَى الْصَّرَاطِ»^(١).

- عن ثوبان رضي الله عنه أن جبراً^(٢) من أحبّار اليهود سأله رسول الله ﷺ فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماءات؟ فقال رسول الله ﷺ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجَسْرِ»^(٣) والمراد بالجسر الصراع.

(١) صحيح مسلم. باببعث والنشور (٤/٢١٥٠) رقم الحديث (٢٧٩١).

(٢) جبراً والجمع أحبّار، وحبراً: الجمع جبور.

(٣) صحيح مسلم (١/٢٥٢) ورقم الحديث (٣١٥).

الفصل الخامس

أنواع الشفاعات

- مدخل .

- أنواع الشفاعات وأصحابها الذين ارتضى الله لهم الشفاعة .

أولاً : شفاعة رسول الله ﷺ .

١ - شفاعته ﷺ لأهل الكبار من أمته .

٢ - شفاعته ﷺ لقوم حوسبيوا واستحقوا العذاب .

٣ - اختبا رسول الله ﷺ دعوته المستجابة ل يوم القيمة شفاعة لأمته .

٤ - شفاعته في إخراج عصاة المؤمنين من النار على درجات وطبقات مختلفة في المدة .

٥ - بشفاعة رسول الله ﷺ أسعد الناس من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه .

٦ - شفاعته ﷺ تناول من سأله ﷺ الوسيلة والمقام المحمود عند سماع الأذان .

٧ - أولى الناس بشفاعته ﷺ أكثرهم عليه صلاة .

- شفاعة الأنبياء والملائكة والصديقين والشهداء والعلماء وحملة القرآن وعامة المؤمنين الصالحين .

أولاً : شفاعة الأنبياء والصديقين والشهداء .

ثانياً : شفاعة العلماء .

ثالثاً : شفاعة حملة القرآن الذين أحلوا حلاله وحرّموا حرامه .

رابعاً : شفاعة الملائكة .

خامساً : شفاعة المؤمنين .

- شفاعة أرحم الراحمين .

- حديث الصراط والشفاعة : الحديث الأول .

- حديث الصراط والشفاعة : الحديث الثاني .

أنواع الشفاعات

مدخل :

.... إن من أعظم وأهم أمور يوم القيمة (الشفاعة) إذ جعلها الله سبحانه في المؤمنين رحمة بهم دون العالمين .. فلا شفاعة لكافر أو مشرك ولا شفاعة لبعاصٍ مصرٍ على معصية إلا من بعد أن يأذن الله سبحانه .

ولعظيم أمر الشفاعة عند الله سبحانه ذكرها في كتابه الكريم في أكثر من آية كريمة .. فالله سبحانه يعلم حق العلم كم يكون الناس في هذه المواقف العصبية في يوم القيمة متطلعين ومتلهفين للشفاعة .

فالشفاعة محور رئيس لكثير من مواطن مواقف يوم القيمة ، ولكن الله سبحانه لا يعطيها إلا لمن يستحقها وكان أهلاً لها ، والله سبحانه أعلم بخلقه جميعاً ملائكة وإنسٍ .. لذلك لا يأذن بها إلا لمن ارتضى له قوله .

يقول الله تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ إِلَّا يَأْذِنَهُ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ .

[سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥]

ويقول تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا مِنْ أَرْضَنَّ وَهُمْ مِّنْ خَشِيتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ .

[سورة الأنبياء ، الآية : ٢٨]

ويقول تعالى: «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَيَّةٍ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ».»

[سورة يونس، الآية: ٣]

ويقول تعالى: «يَوْمَ تَحْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًا * لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعةَ إِلَّا مَنْ أُنْخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا».

[سورة مريم، الآيات: ٨٥ - ٨٧]

ويقول تعالى: «يَوْمَئِذٍ يَتَبَعَّونَ الدَّارِعَ لَا يَعْجَلُ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا * يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعةُ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَحْمَنَ لَهُ فَوْلًا».

[سورة طه، الآيات: ١٠٨ ، ١٠٩]

ويقول سبحانه: «وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أُذِنَ لَهُ حَقًّا إِذَا فُرِّغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ».

[سورة سباء، الآية: ٢٣]

- ويبيّن الله سبحانه أن الملائكة أيضاً لا يشفعون لأحد من خلقه إلا بعد أن يأذن الرحمن لمن يشاء منهم.

يقول تعالى: «وَكُمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُقْنِي شَفَاعَتَهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرَبِّهِمْ».

[سورة النجم، الآية: ٢٦]

- ثم يبيّن الله سبحانه أن الشفاعة العظمى له وحده دون خلقه جميعاً.

يقول تعالى: «قُلْ لِلَّهِ الْشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

[سورة الزمر، الآية: ٤٤]

ويقول سبحانه : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا فِي سَبَّةٍ
أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَالَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ .

[سورة السجدة، الآية : ٣]

هذه بعض الآيات الكريمة التي ذكرها الله سبحانه عن الشفاعة، وبين فيها سبحانه أنه هو الشفيع الأول والأخير لعباده وهذا ما سيظهر عندما يشفع في عباده ويخرجهم من النار ويعفو عنهم .. وكذلك بين الله سبحانه أن الشفاعة أمر عظيم لا يملك أمرها إلا الله سبحانه ، فهو الذي يختار من خلقه من يشاء ليجعلهم من بعد إذنه شفاء يوم القيمة . . . ولا شك أن صاحب الشفاعة العظمى والأولى هو سيد الخلق جميعاً سيدنا محمد ﷺ . حيث يشفع الشفاعة العظمى في أن يبدأ الله سبحانه بفصل القضاء والعرض عليه والحساب ، وقد مر علينا الحديث بطوله عندما تحدثنا عن الشفاعة العظمى .

ولكن العباد من المؤمنين يحتاجون إلى شفاعات كثيرة منها ما يكون عند الميزان ، ومنها ما يكون عند الصراط ، ومنها ما يكون في إخراج كثير منهم من النار ومن أهل الكبائر .. وكذلك فإن الله سبحانه يشفع من عباده بعد سيدنا محمد ﷺ الأنبياء والصديقين والشهداء والعلماء وكثيراً من الناس حتى يشفع الوالد لولده والوالدة لولدها والمؤمن للمؤمن .

أنواع الشفاعات وأصحابها الذين ارتضى الله لهم الشفاعة

أولاً: شفاعة رسول الله ﷺ :

تحدّثنا في الجزء السادس من الموسوعة عن الشفاعة العظمى لرسول الله ﷺ في بدء فصل القضاء والحساب . . . ولكن لرسول الله ﷺ شفاعات كثيرة لأمته يأذن الله سبحانه بها لرسوله الكريم ﷺ تعظيمًا لمقامه ومكانته عند رب العالمين .

١ - شفاعته ﷺ لأهل الكبار من أمته :

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «خُيرت بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتي الجنة؟ فاخترت الشفاعة، لأنها أعم وأكفي، أما إنها ليست للمؤمنين المتقدمين ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين»^(١).

٢ - شفاعته ﷺ لقوم حوسبوا واستحقوا العذاب :

عن حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ : «يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم، المؤمنون حتى تزلف (أي تقرب) لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أباانا استفتح لنا، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟ لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى إبراهيم خليل الله تعالى .

(١) رواه أحمد والطبراني وابن ماجه، واللفظ للطبراني وقال في الترغيب: إسناده جيد.

قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراء، أعمدوا إلى موسى الذي كَلَمَهُ اللَّهُ تكليماً، فـيأتون موسى فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك.

فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له - أي بالشفاعة - وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبي الصراط يميناً وشمالاً - (أي تقومان لتطالبا المارين على الصراط بحقهما) فيمر أولكم كالبرق». قال: قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله: أي شيء كالبرق؟ قال: «ألم تروا إلى البرق كيف يمز، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط - أي على جانبيه - كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوش في النار». والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً^(١).

معاني بعض الكلمات: المخدوش الناجي: هو المجروح الذي خدش ولكنه نجى من الوقوع في النار، والمكدوش هو الواقع في النار.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يوضع للأنبياء منابر من نور يجلسون عليها، ويبقى منبر لا أجلس عليه - قائماً بين يدي ربي مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول الله عز وجل: يا محمد ما تريد أن أصنع بأمتك؟

فأقول: يا رب عجل حسابهم، فيدعى بهم فيحاسبون، فمنهم من

(١) رواه مسلم في صحيحه.

يدخل الجنة برحمته، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي، فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكاً - أي كتاباً - برجال قد بعث بهم إلى النار، حتى إن مالكاً حازن النار ليقول: يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك من نعمة».

[رواوه الطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في البعث]

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشفع لأمتی حتى يناديني ربي تبارك وتعالى فيقول: أقد رضيت يا محمد؟ فأقول: أي رب قد رضيت»^(١).

٣ - اختباً رسول الله ﷺ دعوته المستجابة ليوم القيمة شفاعة لأمته:

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكلّنبي دعوة مستجابة، فتعجل كلّنبي دعوته، وإنّي اختبأت دعوتي شفاعة لأمتی يوم القيمة، فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً»^(٢).

والمراد أن لكلّنبي دعوة تتعلق بعامة أمته محققة الإجابة، كما بين ذلك القاضي عياض رحمة الله تعالى، فإنّأدعية الأنبياء مجابة، اختباً رسول الله ﷺ دعوته إلى يوم القيمة.

ولو عدنا إلى القرآن الكريم لوجدنا أن الأنبياء عليهم السلام استعملوا دعوتهم على أقوامهم في الدنيا.

يقول الله تعالى مبيناً دعوة الأنبياء واستجابة الله سبحانه لها: ﴿قَالَ رَبِّنَا أَنْصُرْنِي بِمَا كَنَّا نَذِرُونَ * قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّمْ يَصِحُّنَّ ثَدِيمَنَ﴾.

[سورة المؤمنون: الآياتان: ٣٩، ٤٠]

(١) رواه الطبراني والبزار وقال في الترغيب: إسناده حسن.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

وكذلك دعا نوح على قومه ﴿قَالَ رَبِّي أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ .

[سورة المؤمنون، الآية: ٢٦]

وقال النووي في تفسير هذا الحديث الشريف الذي رواه مسلم .
قال الإمام النووي رضي الله عنه : وفي هذا الحديث بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته ورأفته بهم واعتنائه بالنظر في مصالحهم المهمة ، فأخر دعوته لأمته إلى أهم أوقات حاجاتهم .

عن عمران بن حصين رضي الله عنهمما أن النبي ﷺ قال : «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين»^(١) .

- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «يدخل من أهل هذه القبلة النار مَنْ لا يحصي عددهم إِلَّا اللَّهُ بِمَا عصوا اللَّهَ واجترؤوا على معصيته وخالفوا طاعته». قال ﷺ : «فيؤذن لي في الشفاعة ، فأثنى على الله ساجداً كما أثنى عليه قائماً ، فيقال لي : ارفع رأسك وسل تعطه واسفع تشفع»^(٢) .

٤ - شفاعته ﷺ في إخراج عصاة المؤمنين من النار على درجات وطبقات مختلفة في المدة :

روى الشیخان عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إذا كان يوم القيمة ماج الناس بعضهم إلى بعض ، فیأتون آدم فيقولون : اشفع لنا إلى ربك ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن ، فیأتون إبراهيم فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بموسى فإنه كلیم الله ، فیأتون موسى فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بعیسی عليه السلام فإنه روح الله وكلمته ، فیأتون عیسی فيقول : لست لها ، ولكن

(١) رواه البخاري في صحيحه .

(٢) قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني في الكبير والصغرى بإسناد حسن .

عليكم بمحمد ﷺ، فیأتونی فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربی فیؤذن لي ویلهمنی محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد وأخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واسفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي! فيقال: انطلق، فآخرج منها - أي النار - من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد وأخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واسفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي! فيقال: انطلق فآخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واسفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي! فيقال: انطلق فآخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فآخرجه من النار، فأنطلق فأفعل، ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد وأخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطه، واسفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، قال: ليس ذلك لك، ولكن عزتي وجلالي وكبرياتي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله^(١).

٥ - أسعد الناس بشفاعة رسول الله ﷺ من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيمة؟ فقال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لمارأيت من حرصك على الحديث؛ أسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»^(٢).

(١) رواه البخاري ومسلم، الفتح / ١٧ . ٢٢٨

(٢) رواه البخاري في صحيحه.

٦ - شفاعته بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تناول من سأله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الوسيلة والمقام المحمود عند سماع الأذان:

- عن ابن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع النبي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأله الله لي الوسيلة حلّت له الشفاعة»^(١).

- عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاحة القائمة آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلّت له شفاعتي يوم القيمة»^(٢).

وزاد البيهقي في روايته: «إنك لا تخلف الميعاد».

٧ - أولى الناس بشفاعته بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أكثرهم عليه صلاة:

.. وفي هذا بيان عظيم لفضل الصلاة على النبي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فأكثروا عليه من الصلاة والسلام عسى أن تناولنا شفاعته بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ونحن بأمس الحاجة إليها يوم القيمة.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: «إن أولى الناس بي يوم القيمة - أي أحقهم بشفاعتي وبإكرامي - أكثرهم عليّ صلاة»^(٣).
عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: «من صلّى عليّ حين يصبح عشراً: أدركته شفاعتي يوم القيمة»^(٤).

(١) رواه مسلم وأصحاب السنن.

(٢) رواه البخاري وأصحاب السنن.

(٣) رواه الترمذى في سننه وأiben حبان في صحيحه.

(٤) رواه الطبرانى بسنده جيد.

شفاعة الأنبياء والملائكة والصديقين والشهداء والعلماء وحملة القرآن وعامة المؤمنين الصالحين

قال الله تعالى في الكفار والمشركين يوم القيمة: ﴿فَمَا نَفَعُهُمْ
شَفَاعَةُ الْشَّفِيعِينَ﴾ . [سورة المدثر، الآية: ٤٨]

فدللت الآية أن هناك من المؤمنين شفاعة يشفعون.

أولاً: شفاعة الأنبياء والصديقين والشهداء :

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفيه: فيقول ﷺ: «أي رب جعلتني سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيمة ولا فخر، حتى إنه ليرد على الحوض أكثر مما بين صنعته وأيلته، ثم يقال: ادعوا الأنبياء فيجيء النبي ومعه العصابة (أي الجماعة الكثيرة) والنبي معه الخمسة والستة، والنبي ليس معه أحد، فيشفعون ثم يقال: ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون فيمن أرادوا..»^(١).

ثانياً: شفاعة العلماء :

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يسفع يوم القيمة ثلثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء»^(٢).

ثالثاً: شفاعة حملة القرآن الذين أحلوا حلاله وحرموا حرامه :

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ

(١) رواه الإمام أحمد والبزار وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه (ترغيب المتنذري).

(٢) رواه ابن ماجة.

القرآن فاستظهره (أي أجاد حفظه) فأحل حلاله وحرّم حرامه: أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته قد وجبت لهم النار»^(١).

رابعاً: شفاعة الملائكة:

وجاء في الحديث الطويل المتفق عليه وفيه أن النبي ﷺ قال: «فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين...» الحديث.

خامساً: شفاعة المؤمنين:

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحسين ربيعة ومضر، فقال رجل: يا رسول الله، وما ربيعة من مضر؟ فقال ﷺ: إنما أقول ما أقول»^(٢).

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من عدد مصر، ويشفع الرجل في أهل بيته، ويشفع على قدر عمله»^(٣).

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يصف أهل النار فيمز بهم أهل الجنة، فيقول الرجل منهم: (أي من أهل النار) يا فلان، أما تعرّفني؟ أنا الذي سقيتك شربة، وقال بعضهم: أنا الذي وهبت لك وضوءاً (أي ماء للوضوء)، فيشفع له (أي ذلك المؤمن الصالح) فيدخله الله الجنة»^(٤).

(١) رواه الترمذى وابن ماجه.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده بإسناد جيد كما قال في الترغيب.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) رواه ابن ماجه.

عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّمَا أَنْتِي مِنْ يُشْفَعُ لِلْفَقَاءِ (أَيِّ لِلْجَمَاعَاتِ وَالْقَبَائِلِ) وَمِنْهُمْ مَنْ يُشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُشْفَعُ لِلْعَصَبَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُشْفَعُ لِلرَّجُلِ، حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ»^(١).

وأما كيف تتم الشفاعة فقد أوضح في (المرقاة) أن المراد بأهل النار المشفوع لهم هنا هم عصاة المؤمنين فإنهم يصفون حتى يمر بهم أهل الجنة من العلماء الأخيار والصلحاء الأبرار. قال: وتكون هيئة العصاة على هيئة المساكين السائلين في طريق الأغنياء في هذه الدار.. هكذا قال في المرقاة.. ونقول: والله أعلم.

شفاعة أرحم الراحمين:

شفاعة الله سبحانه وهو أرحم الراحمين تبقى حتى يشفع رسول الله ﷺ والأنبياء والصديقون والشهداء والعلماء وحملة القرآن والمؤمنون - ذلك أنها الشفاعة التي فيها كامل الرحمة من أرحم الراحمين .. فبرحمة الله سبحانه لا يبقى في النار من شهد أن لا إله إلا الله - فالله سبحانه له الشفاعة جميماً، وهو الخالق المقتدر الرحمن الرحيم الذي أذن بالشفاعة لمحمد ﷺ والأنبياء والشهداء والصديقين والعلماء والمؤمنين إكراماً لهم جميماً، ولكن الله سبحانه أكرمهم وأرحمهم وله الشفاعة كلها التي لا يقدر عليها سواه.

يقول تعالى: ﴿قُلِّلِ اللَّهُ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّمَّا مُلِكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٤٤]

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذى في سننه.

وفي الحديث الشريف الطويل المتفق عليه وفيه أن النبي ﷺ قال :

«فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون
ولم يبق إلا أرحم الرّاحمين» .

[متفق عليه]

.... ولأهمية الشفاعة وبيان مقامها فإن في حديث (الصراط) عن رسول الله ﷺ روايتين يبيّن فيها ويوضح كيف يشفع الله سبحانه - بعد أن يأذن لمن ارتضى من خلقه بالشفاعة - فيخرج من النار أقواماً قد امتحنتهم النار ردحاً من الزمن، جراء عظيم معاصيهم وذنوبهم وأثامهم، ولقد وجدت في الحديثين الشريفين أعظم ما قيل في الشفاعة بعد الحديث عن الصراط ومرور المؤمنين عليه، وهو ما حديثان صحيحان ومتفق عليهما .

حديث الصراط والشفاعة (ال الحديث الأول)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قلنا : « يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة ؟ قال : « هل تضارون^(١) في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا » ؟ قلنا : لا ، قال : « فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهم » ، ثم قال : « ينادي منادٍ : ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبيهم وأصحاب الأواثان مع أوثانهم وأصحاب كل إله مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبرات^(٢) من أهل الكتاب ، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب ، فيقال لليهود : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزيراً ابن الله ، قال : كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن تسقينا ، فيقال : اشربوا ، فيتساقطون في جهنم ، ثم يقال للنصارى : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال : كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟ فيقولون : نريد أن تسقينا ، فيقال : اشربوا ، فيتساقطون ، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر وفاجر ، فيقال لهم : ما يحبسكم وقد ذهب الناس ؟ فيقولون : فارقناهم ونحن أحوج منا إليهم اليوم^(٣) ، وإنما سمعنا منادياً

(١) تضارون : رویت بتشدید الراء وبتخیفها والباء مضمومة فيها ومعنی المشدد : هل تضارون غيرکم في حالة الرؤية بزحمة أو غيرها لخفائهم ، ومعنى المخفف : هل يلحقکم في رؤيته ضر ، وهو الضر .

(٢) غبرات : أي بقاياهم جمع غابر .

(٣) أي فارقناهم في الدنيا لما زاغوا مع احتياجنا لهم ولزمنا طاعته سبحانه ، فهم يتضرعون إلى الله سبحانه أن يكشف هذه الشدة عنهم .

ينادي: ليتحقق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا، قال: فلأنهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا - وفي رواية عند البخاري^(١) - فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتيانا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فلأنهم الله في صورته التي يعرفون - فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رباء وسمعة، فيذهب كما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً^(٢)، ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم^(٣) «قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟»^(٤) قال: «مدحضة مزلة^(٥) عليه خطاطيف وكاللاب^(٦) وحسكة^(٧) مفلطحة^(٨) لها شوكه عقيفة^(٩) تكون بنجد يقال لها السعدان، يمر المؤمن عليه كالطرف^(١٠) وكالبرق وكالرياح وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكذوس في نار

(١) الفتح: ١٩٧/١٧.

(٢) الطبق: فقار الظهر، أي صار فقاره واحداً، كالصفيحة لا يقدر على السجود لله تعالى.

(٣) وفي رواية عند مسلم قال: «قال: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفتر ما كان إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً - مرتين أو ثلاثة - حتى إن بعضهم ليكاد ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاه نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اثناء ورباء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر فيها أول مرة على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا». مسلم ١٨٣.

(٤) الجسر بفتح الجيم وكسرها وهو الصراط.

(٥) مدحضة مزلة: الدحضة بمعنى واحد وهو الموضوع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر.

(٦) الخطاطيف والكلاليب: جمع خطاف وكلوب أو كلاب. والخطاف حديدة حجناه أي معوجة، والكلوب أيضاً حديدة معطوفة الرأس.

(٧) الحسكة: شوكه صلبة معروفة.

(٨) مفلطحة: أي عريضة.

(٩) عقيفة: أي ملوية كالصنارة.

(١٠) كالطرف: أي أنه يمر بسرعة الطرف، وهو إطباق الجفن على الجفن.

جهنم^(١) حتى يمر آخرهم يسحب سجناً، فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبيئن لكم من المؤمن يومئذ للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا، في إخوانهم^(٢) يقولون: ربنا، إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون^(٣) معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرّم الله صورهم على النار، فيأتونهم وبعدهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرفاً، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفاً، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفاً»، قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرئوا: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ يُضَعِّفُهَا».

[سورة النساء، الآية: ٤٠]

«فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقواماً قد امتحشوا^(٤) فيلقون في نهر بأفواه الجنة في حميل السيل^(٥)، قد رأيتهمها إلى جانب الصخرة إلى جنب الشجرة، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملاً ولا خير قدموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه» متفق عليه^(٦).

(١) معناه أن أصحاب الصراط ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص، وقسم يكدس ويسقط في جهنم مكدوس في النار أو مدفون.

(٢) أي العصاة الذين سقطوا في النار.

(٣) وفي رواية: ويحجون.

(٤) امتحشوا: أي احترقوا.

(٥) حميل السيل: هو ما يجيء به السيل من طين وغيره.

(٦) الفتح ١٧ / ١٩٨، ومسلم ١٨٣.

حديث الصراط والشفاعة (ال الحديث الثاني)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أناس يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيمة؟ قال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه السحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «إنكم ترونني يوم القيمة كذلك، يجمع الله الناس، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبعد من كان يعبد القمر القمر، ويتبعد من كان يعبد الطواغيت الطواغيت^(١)»، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتיהם الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتيانا ربنا فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتיהם الله في الصورة التي يعرفون (أي الصفة التي يعرفون)، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب^(٢) جسر جهنم»، قال رسول الله ﷺ: «فأكلون أول من يجوز وداع الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وبه كاللبيب مثل شوك السعدان^(٣)، أمارأيت شوك السعدان؟ غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق^(٤)».

(١) الطواغيت: جمع طاغوت وهو كل ما عبد من دون الله تعالى.

(٢) أي يمد الصراط على جهنم.

(٣) السعدان: نبت مستدير يكون بحجم الأظفر ولها شوك معقوف من كل الجوانب.

(٤) الموبق: أي المهلك.

بعمله ومنهم المخدرل^(١) ثم ينجو، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده، وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يخرجوهم، فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيخرجونهم قد امتحشوا، فيصب عليهم الماء، يقال له: ماء الحياة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار فيقول: يا رب قد قشبني ريحها^(٢) وأحرقني ذكاوها^(٣)، فاصرف وجهي عن النار، فلا يزال يدعوه الله فيقول: لعلك إن أعطيتك أن تسألني غيره! فيقول: لا، وعزتك لا أسألك غيره، فيصرف وجهه عن النار، ثم يقول بعد ذلك: يا رب قربني إلى باب الجنة، فيقول: أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فلا يزال يدعو، فيقول: لعلي إن أعطيتك ذلك تسألني غيره! فيقول: لا، وعزتك لا أسألك غيره، فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق أن لا يسأله غيره فيقربه إلى باب الجنة، فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم قال: رب أدخلني الجنة، ثم يقول: أو ليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول: يا رب! لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك، فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها، فإذا دخل فيها قيل: تمن من كذا، فيتمنى، ثم يقال له: تمن من كذا، فيتمنى حتى تقطع به الأماني، فيقول: هذا لك ومثله معه». قال

(١) المخدرل: أي المقطع بالكلالib.

(٢) قشبني: أي سُمّني وأذاني وأهلكني.

(٣) ذكاوها: أي لهبها وشدة وهجها.

أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً.. قال عطاء: وأبو سعيد جالس مع أبي هريرة لا يغیر عليه شيئاً من حديثه حتى انتهى إلى قوله: «هذا لك ومثله معه». قال أبو سعيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هذا لك وعشرة أمثاله. قال أبو هريرة: حفظت «مثله معه». متفق عليه^(١).



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأشكره على ما أنعم عليّ من نعمة عظيمة فأتممت بها هذا الجزء من الموسوعة .. وأرجو الله سبحانه أن أكون قد أحسنت في جميع فقراته وقدّمت فيها ما يرضيه من الحق والصواب .. ولقد عملت بفضل الله كل جهدي في أن تكون الفقرات والموداد المقدمة في هذا الجزء صحيحةً ومتکاملةً وبينةً واضحةً وسهلة القراءة والفهم .

.. ولقد قرأتكم كانت المواقف مهيبةً ومخيفةً ومفزعةً، وكم كنا بأمس الحاجة إلى الشفاعة وأولها شفاعة الحبيب المصطفى ﷺ . فالشفاعة هي من أهم وأعظم الأمور يوم القيمة، ولو لا أن يأذن الله سبحانه بها لكان الناس يعيشون همّاً عظيماً مقيناً لا يفارقهم ولكن رحمة الله سبحانه بالمؤمنين أوسع وأشمل وأعم .

.. وأمام هذه المواطن الرهيبة، ما علينا إلا أن نعمل لها في الدنيا ونستعد بالعمل الصالح والطاعات والقربات إلى الله سبحانه، وقد بيّنا في أجزاء سابقة ما للأعمال الفاضلة من أثر عظيم في كل موطن من مواطن الآخرة، فالصلة والصيام والحج والزكاة والصدقات والمعروف والبر والتقوى والعدل وقراءة القرآن الكريم وإيتاء النوافل ومحبة الله ورسوله والمؤمنين، كل واحدة منها تعز صاحبها في يوم لا ينفع مال ولا جاه ولا سلطان ولا مقام عز في الدنيا، فقد خاب من حمل ظلماً، ونجح وأفلح كل من جاء بكتابه مليئاً بالخير والحسنات والقربات .

... فالدنيا دار امتحان وابتلاء من أجل الآخرة، ويختلط من يظن أنها دار السعادة.. بل هي محطة عبور للأخرة، وقد شبهها رسول الله ﷺ بـرجل استظل في ظل شجرة ثم ارتحل.

... وأمام حقائق الآخرة علينا أن نعتبر وأن نعمل للأخرة عملها، وعلينا أن نتنافس في الطاعات ليكون لنا المقام الأمين عند رب العالمين، فالدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة، ولو يؤخذ الله الناس بأعمالهم لما ترك عليها من دابة تسعى.. نعمل ونعمل حتى لا تعترضنا الحسرة ولا يؤلمنا الندم، في يوم لو افتدى الكافر والظالم بملء الأرض ذهباً لَمَا تُقْبَلْ منه... في هذا الجزء قدمت ما استطعت ولكن من واقع الضعف الإنساني وقلة علم البشرية، فأرجو من الله أن يسامحني بما أخطأت، وأن يأجرني بما أصبت، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي يوم القيمة وفي ميزان حسنات كل من عمل على إخراج هذه الموسوعة وسعى في نشرها وطبعها وتوزيعها، ونصح الناس باقتنائها وقدم لها وأعانني فيها - وصدق الله سبحانه إذ يقول:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيغَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٤٣]

والله من وراء القصد ولا حول ولا قوة إلا بالله والحمد لله رب العالمين.

Maher Ahmad Al-Sufi

أبو ظبي ص. ب ٢٩٢٢

كتب وأبحاث صدرت للمؤلف Maher Ahmad Al-Sufi

- ١ - آيات الله في البحار.
- ٢ - من آيات الله في السماء.
- ٣ - من آيات الله في السماء (آية الكرسي).
- ٤ - هل يوم القيمة خمسون ألف سنة؟
- ٥ - الحور العين ونساء الدنيا.
- ٦ - الرزق والمال بين السنة والقرآن.
- ٧ - الإسلام والقرن الواحد والعشرون.
- ٨ - الصلاة على المذاهب الأربعة.
- ٩ - الصيام على المذاهب الأربعة.
- ١٠ - الطهارة على المذاهب الأربعة.
- ١١ - الزكاة على المذاهب الأربعة.
- ١٢ - الحج على المذاهب الأربعة.
- ١٣ - الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم :
- ١٤ - آيات الله في النفس والروح والجسد.
- ١٥ - الوجيز في تفسير وإعراب وبيان كلمات القرآن الكريم جزء (١ + ٢).
- ١٦ - الهبوط على المرّيخ وبيان قدرة الله.
- ١٧ - أسياد الدنيا وأسياد الآخرة.

- ١٨ - المجدد لدين الله تعالى .
- ١٩ - المرأة في ميزان الواقع بين الحق والباطل .
- ٢٠ - الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران .
- المجموعة القصصية الإسلامية والعلمية :**
- ٢١ - المجموعة الأولى : العودة إلى الحياة .
- ٢٢ - المجموعة الثانية : الاغتراب .
- ٢٣ - المجموعة الثالثة : المتمردة .
- ٢٤ - حتمية الإيمان بالقضاء والقدر .
- ٢٥ - عالم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام .
- ٢٦ - السحر والتنجيم بين الحقائق والأوهام .
- ٢٧ - صفوة الدعاء وأسرار الابلاء والامتحان .
- ٢٨ - عالم البرزخ بين الحقائق والأوهام .
- ٢٩ - فقه وأحكام المرأة المعاصرة .
- ٣٠ - فقه العبادات على الطريقة التعليمية .
- ٣١ - الصفوة المتنقة من كتب الرواية للأحاديث النبوية الصحيحة .

موسوعة الآخرة :

- ٣٢ - علامات الساعة الصغرى والوسطى .
- ٣٣ - علامات الساعة الكبرى .
- ٣٤ - الموت وعالم البرزخ .
- ٣٥ - الحشر وقيام الساعة .
- ٣٦ - البعث والنشور .
- ٣٧ - بداية يوم القيمة - أرض المحشر - الحوض - الشفاعة العظمى .

٣٨ - الحساب والعرض على الله سبحانه.

٣٩ - الميزان - الصحف - الصراع - أنواع الشفاعات.

٤٠ - النار أهواها وعذابها.

٤١ - جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها.

مراجع موسوعة الآخرة

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - صحيح البخاري .
- ٣ - صحيح مسلم .
- ٤ - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ..
- ٥ - مستند الإمام أحمد .
- ٦ - سنن الترمذى .
- ٧ - سنن ابن ماجة .
- ٨ - سنن النسائي .
- ٩ - صحيح ابن حبان .
- ١٠ - صحيح الجامع الصغير للسيوطى .
- ١١ - المعجم الأوسط والكبير للطبراني .
- ١٢ - سنن أبي داود .
- ١٣ - سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى .
- ١٤ - صحيح ابن خزيمة .
- ١٥ - شعب الإيمان ، والبعث والنشور ، للبيهقي .
- ١٦ - المستدرك للحاكم .
- ١٧ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس / الشيخ إسماعيل العجلوني الشافعى .

- ١٨ - الصفة المنتقة من كتب الرواية للأحاديث النبوية الصحيحة - للمؤلف.
- ١٩ - تفسير ابن كثير.
- ٢٠ - تفسير ابن حَرِيرَ.
- ٢١ - صفوة التفاسير للصابوني - طبعة - المكتبة العصرية - بيروت - صيدا.
- ٢٢ - الموسوعة القرآنية الميسرة - طبعة دار الفكر - دمشق.
- ٢٣ - فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
- ٢٤ - فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٢٥ - جامع الأصول: ابن الأثير.
- ٢٦ - مشكاة المصايح للخطيب التبريزى.
- ٢٧ - شرح العقيدة الطحاوية.
- ٢٨ - الروح لابن قيم الجوزية.
- ٢٩ - الحلية: أبو نعيم.
- ٣٠ - مجموعة المحاضرات العلمية - الدكتور عبد المجيد الزنداني.
- ٣١ - الإشاعة لأشراط الساعة: محمد بن رسول الحسيني البرزنجي.
- ٣٢ - التذكرة للقرطبي - طبعة - المكتبة العصرية - بيروت - صيدا.
- ٣٣ - أهوال يوم القيمة: الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الشافعي الدمشقي.
- ٣٤ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: للإمام أبي حامد محمد الغزالى.
- ٣٥ - التخويف من النار: للحافظ أبي الفرج ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي.

- ٣٦ - كبرى اليقينيات الكونية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
- ٣٧ - القيامة الصغرى والكبرى: د. عمر سليمان الأشقر.
- ٣٨ - الإيمان بعوالم الآخرة: عبد الله سراج الدين.
- ٣٩ - الحور العين ونساء الدنيا: للمؤلف.
- ٤٠ - آيات الله في البحر: للمؤلف.
- ٤١ - آيات الله في السماء: للمؤلف.
- ٤٢ - اليوم الآخر: عبد القادر الرحباوي.
- ٤٣ - جهنم أهواها وأهلها: للعلامة صديق حسن خان.
- ٤٤ - يوم الحشر: أ - د محى الدين الصافي.
- ٤٥ - التفسير المنير - الدكتور وهبة الزحيلي.
- ٤٦ - لوامع الأنوار البهية: ابن المبارك.
- ٤٧ - الزهد والرقة وزيادات الزهد: ابن المبارك.
- ٤٨ - شرح النووي على مسلم: للإمام النووي.
- ٤٩ - مختار الصحاح: دار المعارف مصر.
- ٥٠ - الكبائر: للذهبي.
- ٥١ - الهيثمي: الفتاوى الحديدة.
- ٥٢ - الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري.
- ٥٣ - التوهم والأهوال: المحاسبي.
- ٥٤ - الدار الآخرة: محمد متولى الشعراوي.
- ٥٥ - القيامة بين العلم والقرآن: الدكتور داود سلمان السعدي.
- ٥٦ - المصنف: ابن أبي شيبة.

فهرس المحتويات

١٣	الإهداء
١٥	المقدمة

الفصل الأول

٢١	حساب المشركين والكافرين
٢١	مدخل
٢٦	الدلائل على حساب المشركين والكافرين
	أولاً: إن الله سبحانه يشهد أعضاء المشركين
٢٦	والكافرين على أعمالهم
	ثانياً: العدل الإلهي المطلق وإقامة الحجة على الكافرين
٣٠	والمنافقين
٣٢	ثالثاً: إن الله سبحانه يحاسبهم لتوبيخهم وتقريعهم
٣٣	رابعاً: حساب المشركين والكافرين على التكاليف الشرعية
	خامساً: يحاسب الكافرون ويهبطون في دركات النار
٣٥	بقدر كفرهم وأعمالهم

الفصل الثاني

٤١	الميزان وزن أعمال العباد
٤٤	تنبيه
٤٥	هل الميزان ميزان حقيقي أم ميزان معنوي؟ !

هل الميزان واحد لكل الخلائق أم لكل إنسان ميزان خاص به؟ ٤٧
الميزان عند أهل السنة ٤٩
هل الوزن يأتي على الأعمال أم على الأعمال مع أصحابها ٥٣
أولاً: وزن الأعمال ٥٣
ثانياً: وزن العامل نفسه أي (صاحب العمل) ٥٥
الثالث: وزن صحائف الأعمال ٥٥
صفة الميزان وحجمه ٦٠
- أثقل ما يوضع في الميزان من الأعمال ٦٠
هل توزن الأعمال لكل البشر مؤمنهم وعاصيهم وكافرهم؟ ٦٣
الطبقة الأولى ٦٣
الطبقة الثانية ٦٤
الطبقة الثالثة ٦٥
الوزن والميزان من المواطن الرهيبة يوم القيمة ٦٦
الرجل الذي تنقصه حسنة واحدة عند وزن أعماله لينجو من النار ٦٩

الفصل الثالث

استلام الصحف (تطاير الصحف) ٧٥
مدخل ٧٥
هل استلام الصحف قبل الحساب أم بعد الحساب؟؟ ٧٩
أهل الأعراف ٨٢
من هم أهل الأعراف؟؟ ٨٢
أهل الأعراف هم من تساوت حسناتهم مع سيئاتهم ٨٥

٨٧	وفي مختصر تفسير ابن كثير يقول عن أهل الأعراف
٩١	حشر الكفار إلى النار
٩١	حشر الكفار إلى النار
	ليس للكفار عبور على الصراط إنما يسحبون على
٩١	وجوههم إلى النار

الفصل الرابع

١٠٥	عالم الصراط
١٠٥	صفة الصراط
١٠٧	يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون
	مشهد مرور المؤمنين على الصراط وأحوال المنافقين عليه
١٠٩	كما جاء في القرآن الكريم
١١٢	أحوال المؤمنين في جوازهم الصراط
١١٦	الورود على النار
١١٦	ورود المؤمنين على النار
١١٩	حكمة ورود المؤمنين ومرورهم على جهنم
١٢١	الأعمال التي يثبت الله تعالى بها قدم صاحبها على الصراط
١٢١	ثانياً: إحسان الصدقة
١٢١	ثالثاً: إقالة المسلم بيعته وعترته . . .
١٢٢	رابعاً: تيسير الإنسان ما عسر على غيره . . .
١٢٢	خامساً: إعانت العباد في حاجاتهم والمشي في قضاء مهماتهم . . .
١٢٢	سادساً: حماية المؤمن من منافق
١٢٤	الصراط لغة وشرعًا ومعتمد أهل السنة فيه

الخوف من زلة الأقدام والفزع الأكبر في المرور على الصراط	١٢٧
الفرح والسرور في عبور الصراط والنجاة من النار وأهوالها	١٢٩
عند العبور على الصراط تبدل الأرض غير الأرض والسماءات	١٣٤

الفصل الخامس

أنواع الشفاعات	١٣٧
مدخل	١٣٩
أنواع الشفاعات وأصحابها الذين ارتضى الله لهم الشفاعة	١٤٢
١ - أولاً: شفاعة رسول الله ﷺ	١٤٢
٢ - شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته	١٤٢
٣ - شفاعته ﷺ لقوم حوسبيوا واستحقوا العذاب	١٤٢
شفاعة لأمته	١٤٤
٤ - شفاعته ﷺ في إخراج عصاة المؤمنين من النار	١٤٥
على درجات وطبقات مختلفة في المدة	١٤٥
٥ - أسعد الناس بشفاعة رسول الله ﷺ من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه	١٤٦
٦ - شفاعته ﷺ تناول من سأله ﷺ الوسيلة والمقام المحمود	١٤٧
عند سماع الأذان	١٤٧
٧ - أولى الناس بشفاعته ﷺ أكثرهم عليه صلاة	١٤٧
شفاعة الأنبياء والملائكة والصديقين والشهداء والعلماء	١٤٨
وحملة القرآن وعامة المؤمنين الصالحين	١٤٨
٨ - أولاً: شفاعة الأنبياء والصديقين والشهداء	١٤٨

١٧٣	
١٤٨	ثانياً: شفاعة العلماء
١٤٨	ثالثاً: شفاعة حملة القرآن الذين أحلوا حلاله وحرّموا حرامه
١٤٩	رابعاً: شفاعة الملائكة
١٤٩	خامساً: شفاعة المؤمنين
١٥٠	شفاعة أرحم الراحمين
١٥٢	Hadith al-Sirat wal-Shaf'a (Hadith al-awwal)
١٥٥	Hadith al-Sirat wal-Shaf'a (Hadith al-thani)
١٥٩	الخاتمة
١٦١	كتب وأبحاث صدرت للمؤلف
١٦٥	مراجع موسوعة الآخرة
١٦٩	فهرس المحتويات



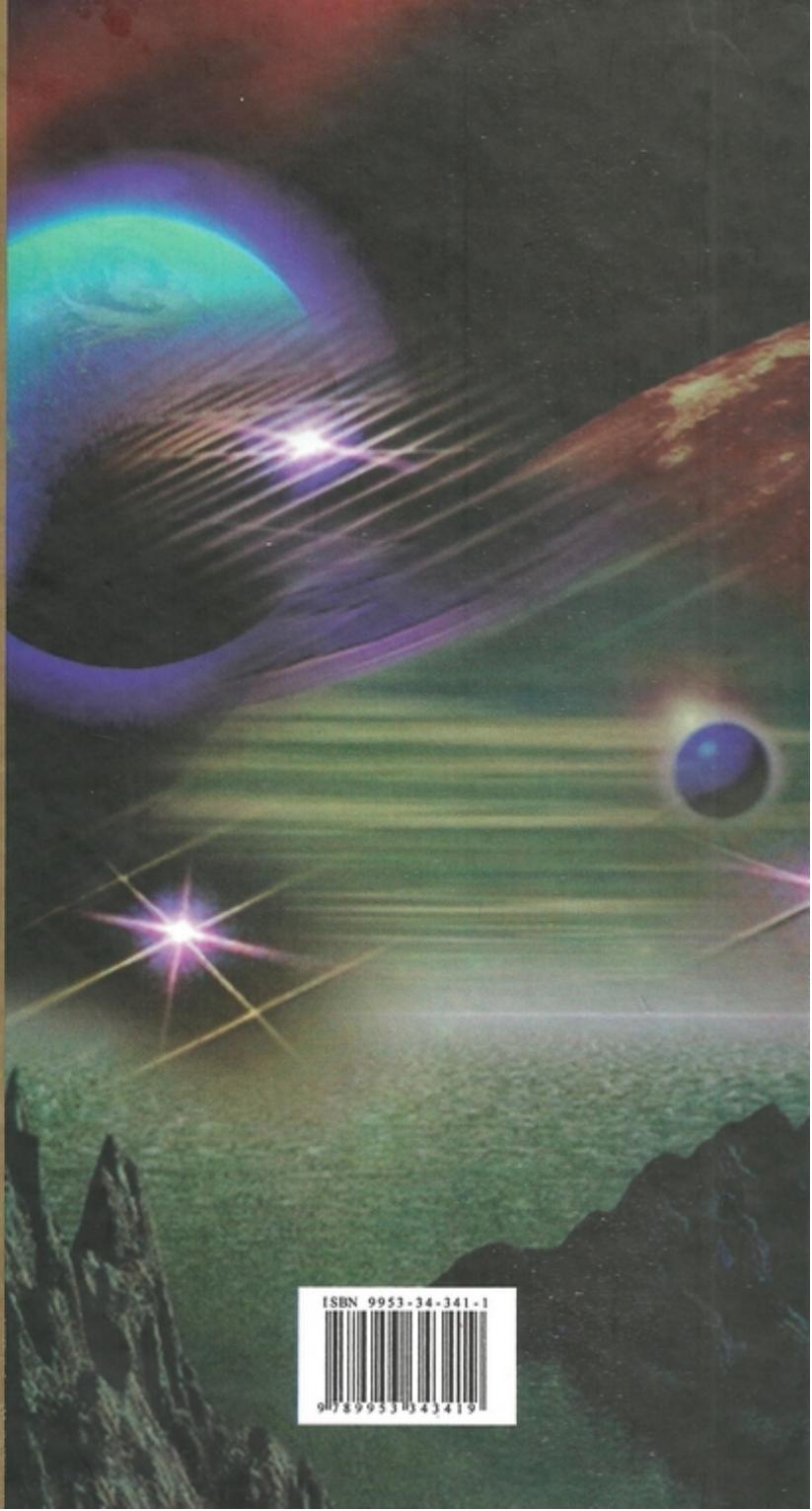
سلسلة موسوعة الآخرة

هذا العمل الموسوعي ليوم القيمة يُعدَّ عملاً غير مسبوق من حيث اشتمال الموسوعة على عشرة أجزاء تناول الكاتب في كل جزء منها موضوعاً مستقلاً من موضوعات الآخرة بكل دقة وتفصيل معتمداً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والتحليل والتفسير وأراء العلماء السابقين والمعاصرين ويعتمداً على الحقائق العلمية في تفسير الأحداث الكونية والتغيرات البشرية والجيولوجية في جميع مراحل يوم القيمة .

أسماء وعناوين أجزاء موسوعة الآخرة

- ١ - الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى
- ٢ - الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى
- ٣ - الجزء الثالث : الموت وعالم البرزخ
- ٤ - الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة
- ٥ - الجزء الخامس :بعث والنشور
- ٦ - الجزء السادس : بداية يوم القيمة - أرض المحشر - الحوض - الشفاعة العظمى
- ٧ - الجزء السابع : الحساب والعرض على الله سبحانه
- ٨ - الجزء الثامن : الميزان - الصحف - الصراط - أنواع الشفاعات
- ٩ - الجزء التاسع : النار أهواها وعذابها
- ١٠ - الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها

الناشر



ISBN 9953-34-341-1



9 789953 343419